المشرق
بيروت

تشرين الثاني ١٩٣٠

في النعمة : ٢

ينبوع النعمة

ومن امتلائه نحن كلنا اخذنا نعمة بدل نعمة
(يوحنا ١:١٦)

بقلم حضرة الاب ا . س . مرجي الدومنيكي

رأينا في المقال السابق[1] ان الله قد دعانا الى العيش عيشة خالدة ، عيشةً تفوق طور طبيعتنا ، عيشةً متوقفةً على رؤيته تعالى ومعرفته والتمتع بحياته . ولذا فقد اعدّ لنا في هذه الدنيا الوسائل الفعّالة المؤدية الى هذه الغاية. واذ كان من الواجب ان تكون الوسائل من جنس الغاية ، منحنا الرب مساعدةً فائقة الطبيعة ، وهي ما ندعوه «النعمة» ، تلك المساعدة التي بدونها لا يمكننا ان نعمل عملًا واحدًا من اعمال خلاصنا. وقد

١) راجع مشرق السنة الحالية ، ص ٥٦١ – ٥٧١

وقفنا على تعليم الكنيسة في هذا الشأن ، بشهادة الكتاب المقدس ، الدالّة آياته على ان الله جعلنا اولاده بالذخيرة ، واخوةً لابنه الازليّ . فاشتركنا ، بواسطة هذه النعمة ، في حياته الالهية ؛ ثم بالادلّة العقلية المثبتة بان الخلائق موجهة الى خالقها بطرائق ملائمة لطبيعتها ، وان من طبيعة الانسان ان يعرف الله بعقله ، ويحبه بارادته وقلبه . بيد انه اذ كان الله ، موضوع هذه المعرفة وهذه المحبة ، غيرَ متناهٍ ، وجب ان يهب الباري عبده قوة فائقة الطبيعة بها يستطيع ان يراه تعالى ويحبه كما هو ويشترك في حياته اشتراكاً فعّالاً . وهذا ما قد جرى بفعل النعمة.

امّا الآن ، فبعد ان عرفنا ماهية النعمة وضرورتها ، لنبحث عن مصدرها او ينبوعها ، وهو سيدنا يسوع المسيح الذي به اتانا الخلاص ، ومن ثم النعمة المخلصة او المقدسة.

* * *

اضحى المسيح ينبوعاً فياضاً تأخذ البشرية من امتلائه نعمةً بدل نعمة ، لانه اصبح ، نسبةً الى البشرية ، كالرأس نسبةً الى الاعضاء ، حسب قول الرسول بولس :

« نصدّق بالمحبة ، فننمو في كلّ شيء للذي هو الرأس ، للمسيح ، الذي منه كل الجسد يتسق ويتلاءم بكل المفاصل المتعاونة . فحسب العمل الذي يناسب كل عضو ينشيء لنفسه نموّاً ، لبنيانه في المحبة.»

وعليه اذا ارتقينا بنور الايمان الى صدر البشرية ، وابان خلقة ابوينا الاولين ، نجدهما حاصلين على مجد حالتهما الاولى ، اي مخلوقين على صورة الله ومثاله ، ومدعوين الى غاية فائقة مطلبات طبيعتهما . وهذه الحالة ، حالة النعمة الاولى ، كانت تعدّهما لحالة المجد الموعود به ليس للانسان الاول وحده ، بل لكل ذريته ؛ على شرط ان ابا الجنس البشري أو رأسه يستمرّ خاضعاً لله ؛ والّا فان حدث وتمرّد هو على ربّه ، فانه يجد في ذلك العصيان مبدأ الانحطاط له ولنسله . وهذا ما قد حدث ، كما لا يخفى . فنتج عنه الحالة البؤسى

لكل العالم ، وهي الحالة التي نحن فيها . اذ بعد آلاف من السنين ، نرى آثار خطيئة آدم متمثلة علينا . فعوض ان نكون متشحين بوشاح البرّ ، والحالة الفائقة الطبيعة ، متذرّعين بالأيد الالهي ، ها نحن اولاً نولد ولادة الورثة المحرومين من ملكهم ، ولادة المعترّين بالضعف والاسقام ، اي ولادة المائتين عن النعمة . وهذه الاحوال باقية على هذا المنوال حتى منتهى الاجيال . وليس الايمان وحده يؤيد لنا صحة ذلك ، بل الاختبار عينه . فان كثيرين من الفلاسفة والمفكّرين ، لمّا عمقوا في درس الحياة البشرية ، وقفوا فيها على آثار خراب عظيم ، وانحطاط وخيم.

على ان الله لم يكن ليدع الانسانية في تلك الحال الشؤمى ، اي في حال السقوط دون امكانية القيام ، اجل لم يكن ذلك في الامكان ، لمخالفته حكمته ومقاصده ، فان دعوته البشر الى السعادة العلوية المقبلة كانت ثابتة رغماً عن السقطة القديمة . ومن ثم كان واجباً ان يستطيع الانسان ، ان شاء ، العيش في هذه الدنيا عيشة فائقة الطبيعة ؛ ويحصل على الوسائل التي تمكنه من ان يسترجع لنفسه النعمة التي فقدها . فلزم لذلك ان يقيم الله في العالم رأساً آخر للجنس البشري ، ينزل منزلة العين الروحية ، تتدفق منها مياه الخيرات العلوية ، عوضاً عن العين الاولى التي نضب ماؤها بمعصية آدم الاول.

فمن هذه الملاحظات ينجم انه للحصول اليومَ على النعمة يجب ان نولد من واحد ، وان تأتينا النعمة من مبدأ شامل . اذ من المناسب ان تعود الينا عن الطريق التي بها فقدناها . فقد حُرمناها على يد رأس متمرّد ، فوجب اذن ان تؤوب الينا بواسطة رأس خاضع . وكما لزم ان ننال النعمة الاولى بآدم الاول بالميلاد الطبيعي والنزول من الصلب الاصلي ، اقتضى الامر ان نفوز بالنعمة الفائقة الطبيعة ، بولادة روحية ، من آدم الثاني الالهي ، وهو المسيح الكلمة المتجسد.

فاذا تقرّر هذا ، ظهر جلياً خطأ الكثيرين من ابناء هذا العصر القائلين بانه لارضاء الله يكفي الرقي الى ذات كل شخص بمفرده. ولذا فمن بغية هؤلاء ان يؤالفوا بينهم وبين الله ألفة خاصة ، ناسين او متناسين تأريخ البشرية الناطق

بوجود ذاك التضامن الذي من شأنه ان يضمّنا ، تحت انظار الله ، بعضاً الى بعض ، كما تلتئم الاعضاء دون ان يُسمح لنا بالانفصال من رأسنا السائد على وجودنا كله.

هذا مدّعى ذوي الآراء الزائفة . اما نحن ، فلعلمنا بتدابير الله وتسليمنا بعبر التاريخ وتعاليم الحياة البشرية ، نجهر بان ديننا من شأنه ، كبقية ما يحدث فينا ، ان يكون حادثاً اجتماعياً ، وانه ، لكي نحصل على الحياة الفائقة الطبيعة ، ينبغي لنا ان نشترك في مبدأ هذه الحياة . فنعلن بان رأسنا وزعيم جنسنا هو كلمة الله ، مجد الآب وصورة جوهره ، الملك الخالد ، يسوع المسيح ربّنا.

* * *

اجل ان الينبوع الصادر عنه هذا النور وهذه القوة وهذه الحياة ؛ اي نور الله وقوته وحياته ، هو يسوع المسيح سيدنا ، راس البشرية الفائق الطبيعة . وهذا الذي يوقن به ويعلنه الجمهور المسيحي . اذ ان المسيح هو ذاك الملك الذي رآه حزقيال النبي ، حين نقله الله بالروح ، فأطلعه على مشاهد العالم العظيمة . فتأمل النبي حينئذٍ في تلك الالفة الوحيدة المؤلفة من شعب واحد ، على رأسه ملك واحد . فقال له الله : « ها انا ذا آخذ بني اسرائيل من بين الامم الذين ذهبوا اليهم ، واجمعهم من كل جهة ، وآتي بهم الى ارضهم ، واجعلهم أمةً واحدة في الارض ، في جبال اسرائيل . وعبدي داود يكون ملكاً عليهم ، وراعٍ واحد يكون لجميعهم . » ثم ان يسوع هو الملك القائم على جبل صهيون الذي ظهر لداود حين سمع دوياً صاعداً من الارض الى السماء ، ومؤامرة الشعوب على الله ومسيحه . فصرخ قائلاً : « لماذا ارتجت الامم وهذّت الشعوب بالباطل . قام ملوكُ الارض والعظماء وائتمروا معاً على الرب وعلى مسيحه . فقالوا لنقطع ربطهما ، ونلقِ عنّا نيرهما . لكن الساكن في السماوات يضحك ، والسيد يستهزئ بهم ، حينئذٍ يكلمهم بسخطه ، وبغضبه يروّعهم . اني مسحت ملكي على صهيون جبل قدسي . »

والرب يسوع نفسه ، اثناء حياته الارضية ، كان يدعو الخطاة للاتيان اليه فيقول : « انا الطريق والحق والحياة . اتيت لتجب للناس الحياة ولتكون لهم افضل . من يثبت فيَّ وانا فيه يأتي بثمر كثير.» بمثل هذه الآيات تظهر ملوكية يسوع ورئاسته الفائقة الطبيعة.

فان كان الامر كذلك ، فهل حدث في حياة الرب عملٌ او جملةُ اعمال خوّلته هذه السلطة المجيدة ؟ قبل ان نقف على ذلك يجب ان ندرك بان فكرة الرئاسة تتضمن ضرورة امرين : اولهما تفوّق القدرة ، ثانيهما وحدة الطبيعة. فان كان الرأس ، من الناحية الواحدة ، ذا طبيعة مخالفة لطبيعة الاعضاء ، فلا يحصل بينها وبينه ملاءمة ، فيتعذّر الاتحاد ، او فلا اقل من ينشأ عنه كبير تنافر . وان كان ، من الجهة الاخرى ، لا يتمتّع الّا بقوة محصورة كقوة اي عضو من الاعضاء ، جاء عاجزاً عن اتيان اعمال شاملة ، فبطل ان يكون رأساً ، اذ يتعذّر عليه ايجاد الوحدة بين اعضائه.

والحال ان طبيعة يسوع المسيح توجد فيه بنوع عجيب جميع هذه المطلبات. فلو كان انساناً محضاً وكان رأساً لنا ، لجاءت قداسته مستعارة ، ولما ملك ملكاً ذاتياً الخيرات التي يوزعها ، ولامسى بمنزلة قناة بسيطة فيها يفيض الله روح النعمة على البشر ، دون ان يبلغ درجة الكمال التي من خاصتها ان تجعله ، لا مجرى ، بل ينبوعاً تتولد فيه النعمة وتتدفق منه مياهها الى المجاري التي توصلها الى النفوس . لو لم يكن الّا انساناً ، لاصبحت ملوكيته ذاتها ناقصة ؛ ولكان منهاج النظام الطبيعي متفوّقاً على منهاج النظام الفائق الطبيعة. ولجاء الرمز اكمل من الحقيقة . لكن الامر ليس كذلك ، لان يسوع هو اله ، فهو اذن ملك لا مثيل له ، كامل في النظام الفائق الطبيعة ، مالك بذاته الحياة التي يدعونا الى الاشتراك فيها كاعضاء هو رأسنا الالهي.

بيد انه لو كان ، من الجهة الاخرى ، الهاً فقط واضحى رأسنا ، لما كان من عين طبيعتنا ، ولما امكنه ان يسدّ جميع حاجات قلبنا ، لاننا كنا مفتقرين الى رأس مشابه لنا ، وفي وسعه ان يصلنا به في طبيعة مماثلة لطبيعتنا ؛ كنا مفتقرين الى رأس لا يفصلنا عنه بهاء عظمته ، الى رأس يكون قريباً منا ،

الى رأس شفيق علينا ، خبير بشقائنا ؛ ولتجرء كأس الالم ، يقدر ان يخفف آلامنا ، ويسلينا في احزاننا . الخلاصة ، كنا في حاجة الى رأس يتزل لنا منزلة الاب والاخ والصديق ، فلو كان يسوع الهاً فقط ، لنقصنا كل هذا ، ولكنا عبثاً نسعى وراء شاطئ ثابت قوي نلقي فيه مرساة رجائنا.

لكن يسوع اله وانسان معاً . ولهذا فهو حريّ ان يصبح رأساً لنا ؛لانه بهذا يستطيع ان يحقق بنوع عجيب كل مطلبات رئاسة كهذه الرئاسة.

لكونه الهاً ، فهو ملك عجيب وكامل ، وينبوعه غير ناضب ، وملكه للحياة ملك خاص ذاتي ، غير مستعار ، وغير قابل الفقدان . ولكونه انساناً ، فهو خليق بان يشبع كل اشواقنا ، ويسدّ سائر حاجاتنا . هذا الرأس الذي كنا نتمناه ، وها نحن مالكوه ، هذا الرأس ابونا الحنون ؛ هذا الرأس اخونا الشفيق ؛ هذا الرأس خليلنا المخلص ؛ هذا الكلمة المتجسد ؛ هذا الضعف والقوة معاً ؛ هذا المجد والذلّ في آن واحد.

على انه لا يكفي للمرء ، لكي يكون رأساً ، ان يملك في طبيعته القدرة والسلطة ؛ اذ يجب ، فضلاً عن هذا ، ان يبرز هذه القدرة فتتحقق بالواقع . من شروط كل سلطة ان يتم تقلدها بحادث او جملة حوادث تنشئها وتحددها فتصبح مبدأ الحقوق المنوطة بها . فهل يا ترى قد نال يسوع ، بالفعل ، حق الترئس علينا ؟ وهل حاز ذلك بعمل او اعمال من حياته ؟ اذا تخيلنا ، طبقاً لآرائنا البشرية ، ما عسى ان تكون حياة الاله على الارض ، لا نتمالك من ان نتصوره محاطاً بالبهاء والعظمة والجلال ، فنتمثل ايامه من اولها الى آخرها سلسلة انتصارات وامجاد ؛ ودوام شرف وسعادة . هذه افكارنا ، هذه احلامنا . لكن ما ابعدها عن افكار الله . فانه قد جاء الى العالم ؛ اما كيف كانت حياته ، فاننا نجدها خلاف ما تتوقعه احكامنا واميالنا. اذ انه ، عوضاً عن ان يولد في الغنى والجاه والعظمة ، قد وُلد في الفقر والخمول؛ وبدل ان يعيش عيشة الهناء والرغد ، قد قضى عمره في الشغل والعناء الجسيم . واما موته فلم يكن موت الظفر والافتخار بل موت الخزي والعار . هذه هي الحقيقة. لانه بتلك الاعمال التي يشق علينا تصورها قد تقلد السيد المسيح سلطة

ملوكيته . وبهذه الحياة وهذا الموت اضحى رأساً لنا . واذا اردنا ان نعرف لماذا جرى الامر على هذا النمط ، فلنعلم انه بهذه الافعال ادى الشروط المطلوبة من الآب الازلي للتكفير عن خطايانا واصلاح حياتنا اصلاحاً فائق الطبيعة.

فماذا كان يتطلب العدل الالهي لكي يسمح للانسان باسترجاع مجده القديم؟ كان يجب اداء التعويض ؛ كان محتوماً ان لا يعود ابناء آدم الى الحياة العلوية ، الّا بمقدار ما يُكفّر عن الاهانة التي وُجهت الى الله على يد ابيهم الاول . والقول بوجوب التعويض يستلزم وجود معوّض . على ان هذا المكفّر او المعوّض لم يكن ممكناً وجوده بين البشر ، اذ كان يقتضي ان يُصعد الى عرش العزّة الصمدانية استحقاقاً غير متناهٍ ؛ او بعبارة اخرى ، كان من الواجب ان يتشح الانسان بوشاح مجد الله ، فيمكنه ان يقول للرب المهان: «الا فلترضَ عدالتك ، وليهدأ غضبك ؛ فهوذا اكرام وتكفير مساوٍ لذنوبنا.» والحال ان مثل هذا العمل كان من المستحيلات ؛ لان البشر خلائق. ولكونهم خلائق ، فهم متناهون ، ومن ثمّ فاعمالهم التكفيرية متناهية كطبيعتهم ، فاذن كانوا عاجزين عن ارضاء الله بتعويض غير متناهٍ.

على ان ما كان مستحيلاً بشرياً فقد حققه يسوع المسيح الاله المتأنس بحياته وموته . لانه قصدَ ترضية العدل الالهي ترضية تامة ، قد قام ابن الله مقام الانسانية جمعاء . ولكي تلبس وشاح افضاله الفعّالة ، صار الاله انساناً . وبصيرورته انساناً ، امكنه ان يتألم فيموت . وهذا ما خوّله الحق ليكون رأساً لنا . فوجدنا به الوسيلة للرجوع الى الله والتكفير عن مآثمنا تكفيراً موازياً . لان المسيح توسط بين الله والانسان ، فاضحى صلة الاتحاد بينهما ؛ للواحد اصبح ضحية تكفيرية ، وللآخر صار خلاصاً ابدياً . وكما انه بآدم الاول هلكت البشرية ، فبيسوع آدم الثاني ، تجددت واصلحت احوالها . وكما ضرب موسى الصخرة ، فتفجرت منها المياه العذبة ، فمن قلب يسوع المسيح ، الصخرة السرّية ، التي ضربت على الجلجلة ، تدفقت مياه النعمة الغزيرة ، فجرت على نفوسنا تجري الانهار الطامية ، وما دامت الصخرة — وهي دائمة

ثابتة – فلن تزال المياه الروحية متحدّرة.

* * *

فيسوع اذن بتأنسه وبموته على الصليب اضحى رأس البشرية ، وبهذا خوّل البشر ان يصيروا ابناء الله . لانه فتح في العالم ينبوع النعمة الذي كان قد سدّه آدم الاول.

على اننا يخلق بنا ان نتساءل : هل يا ترى من الكافي ، لكي يكون يسوع رأسنا ، ان تكون هذه الاعمال قد تمّت في الماضي ، او انه يتحتم علينا ان نصنع شيئاً خاصاً بنا ، حتى تتصل به اتصال الاعضاء برأس الجسم كله ؟

الحقيقة انه من الضروري ان يبقى السبيل منفتحاً بين افضال يسوع وبين ضعفنا ، اي يلزم ان تصبح هذه الافضال افضالنا ، وان تتخلّل حياتنا كتغلغل الدم في شرايين جسمنا . وكما انه لا يكفي ، لافادة ابداننا وعيوننا بانوار الشمس ، ان تكون هي شارقة مضيئة ونحن تحت حجاب يصدّ عنا اشعتها الساطعة ؛ وكما انه لا يجدي نفعاً ، لابرواء غليلنا ، ان تنبع المياه من عين نراها عن بعد ، دون ان نقترب منها ، ونشرب من تلك المياه العذبة ؛ فهكذا عبثاً يكون المسيح رأسنا ، وعلة خلاصنا الابدي ، ان لم نذهب اليه ونتحد به ، بل نستمرّ بعيدين عنه ، غير فاتحين عيوننا لانوار علمه وقلوبنا لمياه نعمته.

لكن ما الحيلة لاجراء هذا العمل ؟ ما هي الحركة الاولى التي لا بدّ منها للنفس المتوجّهة الى يسوع للتأثر بمفاعيل نعمته ؟

على هذا تجيبنا الكنيسة بذكرى حادثة رمزية وردت في العهد القديم. فانه قد جاء في سفر الخروج انّ بني اسرائيل تذمّروا على الله في البريّة ، فانزل فيهم الرب القصاص بان ارسل عليهم حيّات ذات لسعات محرقة مميتة. بيد ان الشعب ... ان اصابهم ذلك المصاب الهائل ندموا واتوا الى موسى مقرين بخطيئتهم . فتحنن الرب عليهم وامر عبده بان يرفع في وسط المحلة ، تجاه الشعب ، حية من نحاس ، كان يجد فيها الناظر اليها بندامة ، الشفاء من لدغ الحيات القتالة.

فنحن كنا كالاسرائيليين مصابين بلسعات حيات الخطيئة المميتة . بيد ان الله

برحمته رفع تجاه انظارنا حيَّة ليست من نحاس ، لكن الحيَّة الحقيقية المخلصة ، المسيح المصلوب ، فوجدنا الوسيلة للشفاء من سمّ الخطية ، بنظرنا اليها بعين العقل والقلب اي بالايمان . اذ ان الايمان بيسوع وبفدائه هو الشرط الاول لنيل الفائدة الناجمة من نعمه . وهذا ما قد شهد به مار بطرس بقوله : « ليس باحدٍ غيره الخلاص . لانه ليس اسم آخر تحت السماء ممنوحاً للناس به ينبغي ان نخلص . » وهذا ما اثبته مار بولس الرسول ايضاً بقوله : « فاذ قد تبرّرنا بالايمان ، فلنا سلام عند الله بربنا يسوع المسيح الذي به حصل لنا الدخول الى هذه النعمة التي نحن فيها مقيمون ومفتخرون في رجاء مجد الله . » ولا نعجبن من هذه الفاعلية . فانه كان من اللائق ، لكي يتمّ هذا الخلاص فينا ، ان يطلب الله منا اتيان العمل الذي نهب به ذاتنا بكليتها .

على ان هذا الايمان وحده غير كافٍ ، إنْ لم يكن مقروناً بشرط آخر اشترطه المخلّص ولخّصه بقوله : « من لم يولد من الماء والروح لا يقدر ان يدخل ملكوت الله . » فاذن يجب اولاً الولادة من الروح بالايمان ؛ ثم الولادة من الماء بالعماد . وهذا امر واضح . اذ ان يسوع لما اراد ان يمنح نعمته للالفة الاجتماعية ، تحتم ان يظهر ذلك بعلامة حسّيّة . وهذا ما صنعه بوضعه شريعة العماد . اذ بهذا السرّ تكمل الولادة بالنعمة اي بالعماد بالماء ، او العماد بالشوق ، او العماد بالدم .

ليس من ينكر ان الامر لمّا يجرِ هكذا في الازمان القديمة السابقة مجيء السيد المسيح . اذ بعد ان وعد الله بتجديد واصلاح احوال الجنس البشري ، كان يكفي الايمان بهذا الوعد الالهي والرجاء بافضال المسيح الآتي ، مع اعتداد النفس للحال اللازمة لنيل الغفران . هكذا كان الشان في عهدي الشريعة الطبيعية والشريعة الموسوية . ولهذا كان مناسباً ان يسوع حين تأسيسه الالفة الفائقة الطبيعة المنظورة ، يصنع علامة خارجية تدل على الانضمام اليها حسب استطاعة كل واحد . فتطبع هذه العلامة كختم على جباه اتباعه تميزهم عن غيرهم .

وهنا يجدر بنا ابداء ملاحظة وهي ان جميع المسيحيين موسومون بسمة

العماد المقدس ، لكن هل يا ترى كل تلاميذ المسيح قد ابقوا فيهم كمال الايمان بفاديهم وبالخلاص الذي اتاهم به ؟ لا ريب ان جمهور المؤمنين لا يرجون الفدى خارجاً عن حظيرة المسيح ، لكن هل هم باجمعهم حاصلون على روح الايمان وحياته ؟ يوقنون ان يسوع ينبوع النعمة والحياة ، فهل يذهبون فعلاً فيستقون من هذا الينبوع الالهي المياه الروحية التي تشفي غليل نفوسهم ؟ هل يقولون له : « يا رب عندك ملء الحياة ، فامنحني اياها ، وافض علي مياهها ، لكي احيي باسرارك وقوتك . »

اما نحن فاذ قد نلنا العماد في كنيسة المسيح الحقيقية . فما لنا الَّا ان ننمو باتحادنا معه ؛ ولنذهبن غالباً الى هذه العين بالفكر والقلب ، وباعمال حياتنا الروحية ، لنطلع حق الاطلاع على حقيقة عطية الله . لاننا ، وحالتنا هذه ، شبيهون بالمرأة السامرية . نحن عطاش ، ونطلب الماء . فها ان يسوع جالس على حافة المعين مستعدّ ان يسقي من يستقيه ، ويقول لنا عند طلبنا الماء : « انكم لو تعرفون عطية الله ، لاستردتموه سقياً . »

لنسمع اذن صوت الرب ولنقل له كالسامرية الخاطئة سابقاً والتائبة لاحقاً : « ربنا اعطنا لنشرب . اعطنا من هذا الماء ، ماء النعمة الجاري للحياة الابدية . » وهو لا يتردد في ان يهبنا ما نطلب فننمو متقوّين بالنور والسلام . واذا اقتربنا من الابدية نتوق حينئذٍ بشدة اعظم الى مياه المقرّ الذي يؤدي اليه ماء النعمة هذا . فنكرر مع هذه المرأة السعيدة لملاقاتها الرب : « اننا نعرف ان هذا هو المسيح المنقذ . نعرف ذلك لا لانه قيل لنا ، بل لاننا رأينا بعيوننا ، وشعرنا بفعل نعمته العجيبة . »

الاحوال الشخصية

درس تاريخي قانوني

بقلم الخوري بطرس غالب

١

اصدرت وزارة الاستاذ اميل اده في الثالث من شهر شباط سنة ١٩٣٠، مرسوماً اشتراعياً رقم ٦ موضوعه التنظيم القضائي خُصص الفصل الثالث من الباب الثاني منه بالاحوال الشخصية، وحصر فيه اختصاص المحاكم المذهبية بقضايا معيَّنة هي الخطبة، وعقد الزواج او انحلال روابطه (الطلاق والافتراق) والبنوّة، والاقرار بالبنوّة، والحضانة، وفرض النفقة او التعويض، عند بطلان الزواج دون تعيين مقدارهما، وحق الفصل عند اتفاق الطرفين خطأً في مقدار النفقة او التعويض، وفي المسائل المتعلقة بالجهاز والحق اي البائنة، وحق اقتراح تعيين وصي القاصر او تعيين خلفه عند وفاته او اعتزاله او عزله، وحق محاسبة ولي الوقف واعطائه سند مخالصة، وحق عزل ولي الوقف واقامة خلف له، وحق تعيين مستحقي الاوقاف. ثم عين قاضي الاحوال الشخصية، واخيرًا ترك لمحاكم الاحوال الشخصية الاسلامية والدرزية صلاحيتها الحالية بالنظر الى المتقاضين من الطائفتين الاسلامية والدرزية.

فجاء هذا القرار مقلّلًا من الحقوق التي كانت تتمتع بها الطوائف المختلفة منذ القدم، والتي اطلق عليها في عهد السلطنة العثمانية اسم «الامتيازات المذهبية»، لانها في نظر الشارع العثماني بل المسلم حقوق استثنائية مُنحتها تلك الطوائف فجعلتها ذات ادارة داخلية مستقلّة عن الادارة العامّة في الدولة.

فمسألة الاحوال الشخصية ليست مستحدثة، بل انها تكوّنت من يوم

تعددت الطوائف في الحكومة الواحدة والوطن الواحد ، فاسترعت خواطر ذوي الحل والربط فاعاروها من الاهتمام ما تستوجبه ، وما لبثوا ، بعد ان اشبعوها درساً وامتحنوا طرق حلها المختلفة ، ان اقرّوا ليس لكل طائفة فحسب احوالها الشخصية ، بل وضعوا لكل طبقة من طبقات الرعية قانوناً ينظم شؤونها الخاصة . وقد اختلفت احوال الاحرار عن احوال الارقاء والمعتوقين ، واحوال الكبراء عن احوال متوسطي الحال في المملكة الواحدة . وحيث تعددت المذاهب تكوّن لكل منها قانون احوالها الشخصية فاقرّته السلطة الحاكمة بعد ان حاولت ان توحّد مذهب الرعية فلم تنجح .

وقد استفاد الخلف من تجارب السلف ، فاكتفى بان يعترف لهذه الطوائف بما اكتسبته من الحقوق وبما فرضته عليها ديانتها من الواجبات التي لا يمكن القيام بها ، اذا كانت السلطة لا تدعها حرّة او لا توفّر لها اسباب الراحة في ممارستها ، بل تعرقل اعمالها ومساعيها وتاريخ رومية القديم ينبئنا انه تكوّن في عاصمة العالم المتمدّن آنذاك مقابل حق الوطنيين الخاص باهل رومية دون سواهم حق آخر دُعي حق الخوارج وهو مجموع قوانين وعادات غايتها ترتيب علاقات الاجانب بعضهم بالبعض الآخر او بالوطنيين الرومانيين

وجرى مثل ذلك في بيزنطية ، فان سلاطينها الذين حكموا الشرق قد اقرّوا للطوائف التي اختلفت مذاهبها عن مذهب السلطنة نظام احوالها الشخصية . فكان لليهود محكمة يتقاضون لديها تفصل في الدعاوى المذهبية المتكونة بينهم وكان للمسلمين مجلس يرفعون اليه دعاويهم حتى في القسطنطينية .

ولما دوّخ الخلفاء سورية وما يجاورها ، اقرّوا النصارى على انظمتهم الداخلية . ومشهور عن الخليفة عمر ابن الخطاب انه ، حين دخل اورشليم ظافراً سنة ٦٣٧م ، اعطى البطريرك صوفرونيوس ميثاقاً اثبت فيه للرؤساء الروحيين ما كانوا يتمتعون به من الحقوق ، وانهم لا يزالون مرجع طوائفهم في قضاياها ، وعفاهم من الجزية والغفر والمواجب . ولم يرضَ ان يلج القيامة حتى لا يدّعي المسلمون انها اصبحت مسجداً ، لان الخليفة قد وطئ ارضها .

اما الصليبيون فانهم ، بعد استيلائهم على الاراضي المقدسة ، اقرّوا كل

طائفة على نظام احوالها الشخصية الخاص بها. وفي العصور الوسطى تكوّن حق خاص نُظمت بموجبه المناسبات بين اصحاب الاقطاعات، وبينهم وبين سيدهم، وبينهم وبين مرؤوسيهم . اما رجال الدين فكان لهم منزلة ممتازة في الادارة والقضاء يتصرفون بحقوقهم دون منازع ولا معارض.

وفي السنة ١٤٥٣ فتح محمد الثاني القسطنطينية . فلم يبطره النصر العظيم الذي حازه، بل تجنّب المزالق السياسية، واستفاد من اغلاط من تقدموه في الحكم، ولم يتبع خطتهم المعوجّة محاولًا ان يكره الشعوب المغلوبة على التمذهب بمذهب الفاتحين . فانه ابى ان يضغط على النصارى ليتحلوا الاسلام، بل رمى الى استمالة الرعية اليه بتساهله في ما لا يضرّ بمصلحة المملكة؛ لانه كان يعلم انه لن يأمن شرّ الفتن والثورات، التي غالباً ما يسببها الضغط على الضمائر والتحكك بالعادات المعقولة العريقة في القدم، الّا اذا ترك للطوائف المؤلفة منها سلطنته، الحرية اللازمة لصيانة احوالها الشخصية . عدا انه بعمله هذا ترك للروم المجال مفتوحاً للمجادلات ليتلهّوا عن القلاقل باختلافاتهم الداخلية، فيستمروا على ضعفهم تجاه السلطنة.

وقد سنحت الفرصة للفاتح ليظهر مقدرته السياسية وحنكته الادارية يوم طلب اليه الاروام ان يوافق على انتخاب البطريرك جناديوس سكولاريوس، فامرهم ان يستمرّوا على عادتهم في انتخاب البطريرك وتوليته، ودعا المنتخب الى وليمة، وقبل ان يصرفه اهدى اليه عكازًا ثميناً وقال له : «كن بطريركاً ولترعك العناية . ولك مني عهد الصداقة فاعتمد عليه بكل ما كان لاسلافك البطاركة من السلطة والميزة». وبعد ايام وجّه اليه فرماناً اعلن فيه ان شخص البطريرك لا يمسّ، وانه لا يجوز لاحد ان يتحكم بامره او يزعجه او يقلقه، وان يكون هو والاساقفة والاحبار الذين انتخبوه معفين من كل رسم وضريبة وتكليف عام . ومنع تحويل الكنائس التابعة للبطريرك الى مساجد، وامر ان يكون زواج تابعي البطريرك وجميع عاداتهم وتقاليدهم مصونة حسب تعاليم كنيستهم، وان تبقى لهم شرائعهم في الاحوال الشخصية كالزواج، والطلاق، والوصية، والميراث؛ واثبت حقهم بانشاء المدارس،

وبالتعليم ، وادارة شؤون ابنائهم تحت اشراف الرؤساء الروحيين ؛ وان على القوة المسلحة ان تنفذ احكام محكمتهم ، وان يكون مجمعهم المؤلف في الاستانة المجلس الاعلى الاستئنافي للاحكام الصادرة من محاكم الاساقفة والاحبار . ومُنح البطريرك مقام وزير ، والاساقفة مقام ولاة.

فهل من اعتراف اصرح من هذا بالاحوال الشخصية . فان السلطان اقرّها ، وجعل البطريرك والاساقفة ممثلين لطوائفهم لدى الحكومة . وعوض ان يعنى بتكليف الافراد ما يتوجّب عليهم للمملكة ، اكتفى بان يجعل الرؤساء الروحيين ضامنين تتميم هذه الواجبات ، وذلك لقاء ما منحهم «من الامتيازات.»

وكان السلطان سليم الاول قد اراد ان يستولي على المعابد المسيحية ، ويكره جميع رعاياه على انتحال الدين الاسلامي ، واصدر بذلك ارادة سَنية . الا ان احد مشاهير علماء ذلك العصر ، السيد علي جمالي ، المتضلع من الشرع الاسلامي ، استدرك المضارّ التي كانت تتهدّد السلطنة فيما لو نفذت ارادة السلطان ، فنصح للبطريرك القسطنطيني ان يتسلّح بعهدة السلطان محمد الفاتح ، ويقدم للسلطان سليم بعض الشهود معاصري الفاتح الذين حضروا اعطاء العهدة ليشهدوا بذلك ، ففعل وتوفق الى اقناع السلطان سليم بان يعدل عن خطته.

اما السلاطين الذين خلفوا سليم الاول فانهم جدّدوا مآل هذه العهدة في فرمانات عديدة ، وبراءات مختلفة ، نذكر اهمها واقربها الينا ، اي فرمان ١٤ شعبان ١٢٦٩هـ . (ايار ١٨٥٣) ، ثم منشور الباب العالي الى سفراء الدول ٣ شوال ١٢٦٩هـ . (٢٠ حزيران ١٨٥٣) ، ومذكرة عالي باشا للدول العظام (١٧ ايار ١٨٥٥) ، والخطّ الهمايوني المؤرخ في ٩ آذار سنة ١٨٥٦ ، والخط الآخر المؤرخ في ١٨ شباط سنة ١٨٥٨ ، ثم تفسير الخط الهمايوني الاول الذي اذاعه فؤاد باشا في ٢٥ ايار ١٨٦٧ . زد على ما تقدم الارادة الشاهانية التي اصدرها عبد العزيز في ٣٠ ك ١ سنة ١٨٧٥ ، ثم القانون الاساسي الذي نشر في ك ١ سنة ١٨٧٦ ، والدستور الذي نشر بعد اعلان الحكم الديموقراطي في سنة ١٩٠٨ .

ويمكن ان نلخص ما جاء في هذه الوثائق الرسمية بما كتبه عالي باشا في

تقريره الى الدول العظمى في ١٣ ايار سنة ١٨٥٥ قال : « ان وظيفة البطاركة قد جمعت عدة حقوق مدنية ودينية بنوع انه يمكن ان يقال انه ، ما عدا السلطة المدنية التي تتولاها الحكومة الاسلامية ، فشؤون المسيحيين ومحاكمهم وتدبير احوالهم مودعة لسلطة مسيحية لا لسلطة اسلامية »

قال المؤرخ لاقاله في كتابه « تاريخ تركية » ، المطبوع سنة ١٨٥٩ : « بقيت كنائس الروم في يدهم ، عدا كنيسة آيا صوفيا التي حولت مسجداً ، وتركت لهم الحرية التامة للقيام بشؤونهم المدنية ، والاستقلال في ادارتها الداخلية . فألفوا جماعة مختلفة عن الامة الفاتحة وفرضت عليهم ضريبة الجزية والخراج لقاء ما اثبت لهم من الحقوق كطائفة رئيسها البطريرك يعاونه في الادارة مجمع الاساقفة ، وله رتبة وزير يقوم بخدمته ياور من الانكشارية . واعترف له بحق النظر في جميع الدعاوى الحقوقية والجزائية بين رعاياه الروم ، ضمن نطاق بطريركيته ، واليه يرجع الفصل في امور الزيجات ، والمواريث ، والوصيات ، والطلاق ، والسرقات ، والجنح . محاكمه مؤلفة من رجال الاكليرس الاعلين ، لها حق ان تجازي بالحبس والضرب والنفي الخ . وكانت القوة المسلحة مكلفة ان تنفذ جميع قراراته بحق المسيحيين... وكان المجمع ، بصفته مجلساً ملياً كبيراً ، ديوانَ استئناف للاحكام الصادرة من المطارنة في ابرشياتهم يتصرف بواردات الكنائس والملّة عموماً . والبطريرك ورجال الاكليروس واعضاء مجالس الطائفة اعفوا من الضرائب.»

وكانت المحاكم الروحية تفصل الدعاوى المتكوّنة بين المسيحيين والمسلمين ، اذا رضي المسلمون بذلك. وكانت تلك الاحكام تنفّذ ، ولو انتحل المحكوم عليه الدين الاسلامي بعد قبول الدعوى عليه. فضلًا عن ان البطريرك والاساقفة خوّلوا حق انشاء المدارس وادارتها وقبول الاوقاف والمناظرة عليها وادارتها.

وهذه « الامتيازات » ، التي مُنحت الروم اولًا ، صار تمديدها فيما بعد الى سائر الطوائف المسيحية بموجب فرمانات وبراءات التولية.

وما زالت الحال على هذا المنوال حتى فككت الحرب الكونية أواصر السلطنة العثمانية ، فقُسّمت اراضيها ، وانتدبت جمعية الامم لكل قسم منها

دولة من دول الحلفاء الظافرة لتقوم بواجب الوصاية على الحكومات الجديدة المتألفة من حطام تلك المملكة الواسعة الارجاء. وقد نصّ في صك الانتداب، في المادة ٦ منه، ان على الدولة المنتدبة واجب تأمين الاحوال الشخصية التي اصبح قانونها مضموناً بصكّ الانتداب، ومتعلقاً تحويره وتعديله بجمعية الامم، لا بهيئة منفردة من الهيئات الرسمية ايًّا كانت. وقد طبقت بريطانية العظمى المادة السادسة المذكورة على فلسطين، وانبتت قانون الاحوال الشخصية، وتوسعت في تفسيره، ومدّدت نطاق اختصاص المحاكم المذهبية حتى انها خولتها الحكم بثبوت الوقف الخيري الديني، وما شاكل.

اما في سورية ولبنان فقد حاول السيد ده جوفنل، المفوض السامي السابق ان يحصر صلاحية المحاكم المذهبية في عقد الزواج وما يتفرّع منه فقط، فاحتجّ عليه رؤساء الطوائف الدينية واوقف اثر ذلك العمل بموجبه، وقراره هو المعروف بقرار رقم ٢٦١. ثم اصدرت وزارة الاستاذ اده المرسوم الاشتراعي الذي ذكرناه في صدر هذه المقالة، فاعاد الى المحاكم المذهبية اموراً سبق لنا ايرادها فزاد على القرار ٢٦١ وخفف من «امتيازات» الرؤساء الروحيين.

ومما يلفت النظر هو ان اكثر ما نسميه «امتيازات مذهبية» قد استمده محمد الفاتح من الشريعة البيزنطية. لانه من يوم استولى قسطنطين الكبير على زمام الحكم خوّل الاساقفة سلطة واسعة جداً في الامور المدنية، وقد حصرها يوستينيانوس، صاحب المجلة المعروفة باسمه، في موادّ معيّنة.

قال الاستاذ كوف، المعلم في جامعة الحقوق الباريسية، في مقالة عنوانها «يوستينيانوس ومآثره التشريعية»: «ان هذا العاهل رغب في ان يخفف وطأة سوء استعمال السلطة من قبل الحكام المدنيين، فاستعان بالاساقفة وخوّلهم سلطة واسعة ليتفقدوا السجون ويطلقوا سبيل من لم يكن موقوفاً بامر صريح من الرؤساء، ويرفعوا الشكوى على الذين يتعدون خطة الاعتدال في الحكم وقد تأيدت في عهد خلفاء يوستينيانوس مداخلة الاساقفة في الشؤون المدنية في الامبراطورية الشرقية واتت بفوائد جمة في القرون التالية.»

(للمقال صلة)

صفحة من تاريخ

الرهبانية الباسيلية الشويرية

بقلم الاب اثناسيوس حاج ق. ب.
مدير الدروس في المدرسة الاكليريكية

٢

٥ بعض رجالها المشاهير

لما كانت شهادة الانسان بحقّ ذويه ضعيفة البرهان ، عمدنا الى شهادة هي من القوة بمكان ؛ لان مصدرها رومية . فقد ورد في مقدمة الفرائض التي دبجها السمعاني بإشارة الكرسيّ الرسولي ما نصه :

«. فكانت يد الرب على رجل يمينه وعلى ابن الانسان الذي شدّده له ، اي على الاب الصالح الذكاخوري نيقولاوس الصائغ ، رجل يمين الرب الشهير بالاعمال والعلوم... فمدت هذه الكرمة المباركة قضبانها ... اذ انتشرت.. بفضائل ابنائها وخاصة برؤساء الكهنة الخمسة : المطران مكسيموس ، رئيس اساقفة حلب الشهير باحتمال الشدائد من اجل الايمان ؛ والمطران اثناسيوس ؛ والمطران باسيليوس ... والمطران جراسيموس الذي امتحن ايمانه فوجد افضل ثمناً من الذهب المجرّب في النار اذ كابد النفي من اجل الرب ؛ والمطران ناوفيطوس ، مطران صيدنايا ، الذي توفي في رومية العظمى حيث صار مشهداً للعالم وللملائكة والبشر.»

١ — المطران ناوفيطوس نصري († ١٧٣١)

هو سليل اسرة كاثوليكية من حلب ، ولد حوالي سنة ١٦٦٠ ، فرباه ابواه على الفضيلة والتقى ، فشبّ عليهما الى ان بلغ العقد الرابع من عمره ،

فاتى الى دير سيدة البلمند حيث لبس الاسكيم الرهباني . ثم سيم كاهناً ، ودعي الاب نصرالله . غير انه لم يلبث ان شعر بتلاشي الحياة الرهبانية في ذلك الدير . فاتفق مع الابوين جراسيموس وسليمان وغيرهما أن يذهبوا الى لبنان ، فيؤسسوا هناك رهبانية جديدة ، ويحيون حياة اكمل.

بيد ان رئيس البلمند خاف ان يلحق بهؤلاء سائر رهبانه ، فاشعر البطريرك بذلك . امـا البطريرك فرأى ان يفرّقهم ، ومن ثم ارسل الاب نصرالله الى ديار بكر ، حيث قام باعماله الرسولية احسن قيام ، فاعجب به الجميع ، ولا سيما البطريرك اثناسيوس الرابع ، الذي سامه اسقفاً على صيدنايا سنة ١٧٢٢ ثم ولاه على معلولا سنة ١٧٢٤ .ثم مات البطريرك فاجتمع الاساقفة الكاثوليكيون ومنهم المطران ناوفيطوس نفسه ، فاقاموا خلفاً له كيرلس . اما المشاقون فقد انتخبوا سلفسترس الذي شرع يضطهد البطريرك الكاثوليكي وكل من والاه من الاساقفة ، ولا سيما المطران ناوفيطوس ، الذي حكم عليه بالنفي . فلما علم هـذا الاسقف بذلك صعد الى الدير مع تلميذه الخوري اغناطيوس ابن الشماس نعمه الحلبي فتلوا هناك فرض العذراء (الباراكليسي) وطلبا منها حفظ القطيع من الذئاب . ثم هربا فاختبئا مدة ثلاثة عشر يوماً.

ولما ذهب الجنود ، عاد المطران الى دار الاسقفية ، فوجدها منهوبة ، فقال : « الرب اعطى والرب اخذ ، فليكن اسمه مباركاً . » ورأى ان الهرب الى لبنان اولى ، فقام اليه مع رفيقه . غير ان الجواسيس اخبروا الباشا بهربهما فارسل جنوداً يتعقبونهما . اما هما فكانا يختبئان في المغاور والجبال ، الى ان اتيح لهما ، بعد العناء الجزيل ، ان وصلا الى لبنان.

ولقد اعيى سلفسترس امر ناوفيطوس ، فعمد اخيراً الى اللين والرقة فكتب له قائلاً : « كفاك هياماً في الجبـال كالوحوش . اشفق على نفسك ، وكن معنا ، واترك البابا واحرمه ، فاقيمك وكيلاً لي في دمشق. » فاجابه ناوفيطوس: « لأن ابقى في الجبال شريداً طريداً احبُّ اليَّ من سكنى قصور جميلة يعقبها الاقامة في جهنم. » ثم اعاد سلفسترس الكرّة عليه مازجاً التهديد بالتمليق فلم يزدد الاسقف البار الا شجاعة وشهامة واجاب سلفسترس جواباً يذكرنا باجوبة

الشهداء للمضطهدين : « اولاً انا في حضن كنيستي منذ سبعين سنة ولن اخرج منها . ثانياً انت حزين عليَّ ، اما انا ففي غبطة وسرور. ثالثاً تتوعدني بالموت واني مستعدٌ لـه . رابعاً اما البابا فهو نائب المسيح ومن يستطيع ان يجدف عليه ... فاخضع له تكن راعياً حقيقياً ... »

اخيرًا رأى الاسقف ان يستقيل من ابرشيته ففعل وسافر الى رومية ، فوصل اليها في ٣٠ آب . وبقي هناك مدة اربعة اشهر وتوفي برائحة القداسة .

ان الله تعالى ، الذي يجعل قديسيه في الارض عجباً ، قد اجرى بواسطة هذا القديس بعض الامور العجيبة التي يخبرنا بها شهود ثقات . منها ما حدث على يده مدة حياته وقد ذكر بتفصيل في مجلة صوت الحق سنة ١٩٢٣ . واماً العجائب التي جرت بعد موته فقد اشار اليها السمعاني كما ذكرنا ونوَّه بعظمتها سجلُّ الرهبانية ووصفها بتدقيق القس اغناطيوس قندلفت[1] رفيق الاسقف فقال:

« بعد ان وصلنا الى رومية باربعة اشهر ذهبنا لزيارة الآباء اليسوعيين . وبينما كنا مارّين في الشوارع رأينا جمعاً غفيرًا قد تألّب لاستقبال سفير مالطه . فوقفنا قليلاً ، ولكن اتفق ان عربة حادت عن طريقها ولطمتنا ، فكسرت ضلع الاسقف وصدعت رجلي ويدي . فحملونا الى دكان قريبة واستدعوا لنا طبيباً . ففحصنا فوجد ان لا خطر عليَّ ، واما الاسقف فكانت حالته خطرة جدًا . فامر الطبيب ان ننقل الى مستشفى الروح القدس حيث بقيت اربعة ايام وشفيت ، خلافاً للاسقف الذي ازدادت حالته خطرًا .

« وفي ذات يوم استدعاني سيادته وقال لي : « انني اشعر بدنوّ اجلي فاعطني الزيت المقدس .» فاجبته . « ان صحتك على تقدم فلا حاجة لذلك .» فاجابني : « لم يبقَ لي فوق هذه الفانية سوى يوم واحد .» فاعلمت الرئيس بكل ذلك . فامر بان يمسح بالزيت المقدس . وبعد المسحة ، طلب سيادته ان اقرأ له قانون يسوع الحلو. وبعد نهاية الصلاة ختمها كعادته ، والتفت اليَّ قائلاً : « يكفي الآن . فاذهب وتناول طعامك .» ولما رفضت معتذرًا ، قال لي : « لقد دنت الساعة ، فاذهب يا ولدي .» فلبيت الأمر ، ولما عدت

١) اغناطيوس نعمه (؟)

اليه سألني: «كم الساعة ؟» فقلت : «هو نصف النهار.» فقال : «استودعك الله يابني ، لاني سابارح هذا العالم.» فطفقت ابكي. فقال لي: «لا تبكِ ، يا ولدي ، بل قدّم بعض قدّاسات لراحة نفسي.» ثم قال: «فليبتهج قلبي ونفسي بالاله الحي.» واسلم الروح.

« ولما تحققنا موته البسناه حلته الحبرية ، وحملناه الى كنيسة المستشفى. وفي اليوم التالي اخذناه الى كنيسة البروپاغنده ، واقمنا لـه جنازاً . بعد الصلاة ، تقدّم المؤمنون لتقبيل يديه ، فدهشوا لرؤيتهم جثته مبللةً بالعرق ، فظنوا انه لم يزل حيّاً . فلما علم البابا بالامر ، ارسل اربعة من مشاهير الاطباء ليروا هل حالة الجثة طبيعية . وبعد الفحص المدقق وجدوها غير طبيعية.

« وكان بين الحاضرين رجل مصاب اخوه بـداء السلّ الوبيـل ؛ وكان الاطباء قد يئسوا من شفائه . فاخذ شعرة من لحية الاسقف وذهب بها الى اخيه ، واوعز اليه ان يبتلعها ، ففعل . وللحال رقد ثم قام مملوءاً عافية وقوة. فاسرع الاخوان وخبرا الجمع بالقصة . فأخذ المؤمنون يتواثبون على الجثة بغية الحصول على بركة منه . فعرّوه من الشعر والثيـاب . فالبسناه حلّة اخرى لم يلبث ان عُرّي منها ايضاً.

« وبقيت الجثة في الكنيسة خمسة ايام ، والعرق ينبعث منها . وكان وجه الاسقف مشرقاً كأنّ الحياة لم تفارقه . وكان المرضى يتسابقون لاخذ اثر منه فيشفون حالاً.

« وبعد مضيّ خمسة ايام امر البابا الاطباء ان يفصدوه ، ففتح احدهم جرحاً في ذراع الميت . وللحال خرج دم عندمي بغزارة كلية كما من جسم حي . فهجم المؤمنون متسابقين الى التقاطه بالقطن والمناديل . ولما رأى ذلك الاطباء والاساقفة الحاضرون ، دوّنوا الحادث في السجلّ ، ووقّعوا عليه . وامر البابا بدفنه ، فواروا الجثة تحت الهيكل الكبير في كنيسة البروپاغنده ، بعد ان وضعوا فوق تابوته صحيفة كتب عليها اسم مكرم « *venerabile* ». وكان ذلك في ٢٤ شباط سنة ١٧٣١ »

ولقد اتى على ذكر هذا الرجل القديس ووصف حياته ومماتـه بتفصيل ،

كثيرٌ من المجلات الكاثوليكية ، وبنوع خاص مجلة «صدى الشرق» ، وذلك في المجلد الخامس ثم السادس ثم السابع ثم الثامن ثم التاسع . فيا حبذا لو يعمل الرؤساء الشرقيون على تطويب هذا الاسقف ، اذن لكانوا يضيفون لؤلؤة جيلة الى لآلئ اكليل الكنيسة الشرقية.

٢ ــ الخوري نقولا الصائغ (١٦٩٢ – ١٧٥٦)

هو نقولا بن نعمه الصائغ ، ولد في حلب سنة ١٦٩٢ . وكان ابواه على جانب كبير من التقوى والصلاح ، فربّياه على الفضيلة ، ولم يهملا تعليمه بل جعلاه في احد المكاتب . فابدى من الذكاء والنبوغ ما اكبره فيه معلّموه . ولما تعلّم مبادئ العربية ، اخرجه ابوه ليعلّمه الصياغة ؛ فلم يلبث طويلاً حتى اتقنها . بيد انه كان يشعر من نفسه بميل الى الحياة النسكية مما كان يحدو به الى التردد المتواتر على الكهنة وعلى الكنائس . وكان يتردد مع بعض رفاقه على شيخ مدقّق في اللغة العربية ، فدرس عليه الصرف والنحو والبيان والعروض . ولم يكتفِ بذلك ، بل كان طامحاً الى العلوم العالية ولا سيما الكهنوتية فقيّض الله له ، ولابن عمه عبدالله زاخر ، ان يتعلّما على القس جبرائيل بن فرحات.

ولما كان العلم الحقيقي من شأنه ان يقرّب الى الله اكثر فاكثر ، ازداد هذا الرجل اشتياقاً الى العيشة الرهبانية. وكان قد سبقه اليها الابوان جراسيموس وسليمان الحلبيان ، اللذان كانت تصله اخبارهما واخبار رفاقهما بعد اقامتهم في دير مار يوحنا . وقد اطلع على رغبته في النسك القس جبرائيل فرحات الذي احبّه جداً ، وشجعه على تلبية دعوة الله . ولم تكن سنة ١٧١٥ حتى لبّى هذا العبد الامين دعوة ربه ، فأمّ ربوع الشوير ، وكان الله يقود خطاه حتى وصل الى دير الصابغ . فكان له وللرهبان تعزية كبرى . وبعد ان مكث بضعة ايام ، لبس ثوب الابتداء ، فكان مثالاً فريداً بتقواه ووداعته وكدّه مما خلب قلوب الرهبان وجمعها على حبه . وكان قد احضر معه جانباً من المال لاسعاف الرهبانية ، فبنى سنة ١٧١٨ كنيسة القديس نيقولاوس مع خمس قلالي للرهبان.

وبعد ثلاث سنوات من دخوله الرهبانية ، سيم شماساً ، ثم قساً ؛ ولم تمرّ سنة على سيامته ، حتى انتخب مدبرًا ثانياً للرهبانية ، مما يدلّ على عظم الاعتبار الذي كان له على حداثة عهده . ولما مات مطران حلب سنة ١٧٢١ ، طلبته الطائفة ليكون خلفاً له ، فلم يحقّق الله امنيّتهم هـذه . وفي سنة ١٧٢٣ قلّد رئاسة دير الصابغ ، فرقاه مادياً وادبياً . وكذا فعل بدير مار اشعياء الذي اقيم عليه رئيساً في السنة التالية . ولقد انتخب بعد ذلك رئيساً عاماً لا كما يجمع سابق ، ثم مدبرًا اولًا ، وثانياً عاماً . وفي تلك الاثناء بنى ديرًا للعابدات في الذوق على اسم « سيدة البشارة . » وكان في كل اعماله ، وفي كل المراتب التي يشغلها يتلهب غيرة على اخوته ، مما ادّى بهم الى تقليده زمام الرئاسة العامة منذ سنة ١٧٢٣ . الى سنة ١٧٥٦ ، اي الى وفاته .

واما وفاته ووصف فضيلته فقد وردت باختصار في تاريخ الرهبانية :

« توفي في اليوم السابق لابتداء المجمع العام في دير مار ميخائيل الذوق . اقام الاب العام قداساً خشوعياً حسب عادته وبعد ذهابه الى قلايته ، شعر بالموت ، فاستدعى المدبر الاول فاعترف اعتراف الموت . فحضر حالًا آباء المجمع ، والسيد كير اثناسيوس فمنحه سرّ المسحة ، وحينئذٍ بدأ يودّع الآباء ويعظهم . ثم مات وقد حزن الجميع لفقدهم ضياء هذا الكوكب الساطع الذي في حياته عمل وعلّم ، وبسيرته النسكية سقف وارشد ، وبعمله وفضائله اسّس ورتب الرهبانية ، وبذكائه نظم الفرائض كباسيليوس ثانٍ . وفي حياته اقام وشيّد اديار الرهبانية القانونية »

اجل ان نيقولاوس الصائغ كما تشهد البراءة الرسولية نفسها هو الذي يستحقّ ان يُدعى مؤسس الرهبانية الحقيقي . فهو الذي الف الفرائض وطلب تثبيتها من الكرسي الروماني . وفي عهده غدت الرهبانية ذات اديار كثيرة اذ شيد دير سيدة البشارة في الذوق سنة ١٧٣١ ، واخذ دير مار جرجس بسوق الغرب سنة ١٧٥٠ ثم دير سيدة الرأس سنة ١٧٥١ . ثم بنى دير النبي ايلياس بزحلة سنة ١٧٥٥ . وبسعيه ايضاً منح الحبر الاعظم الرهبانيـة كنيسة سيدة السفينة بروما مع مقام للرهبان .

لقد قضى مدة رئاسته كلها في جهاد متواصل ، لانه استلم زمام الرهبانية ايام الضيق والاضطهادات . والله يعلم كم قاسى هذا الرجل الكبير من المتاعب والنكبات ، وكم ابدى من العزم والحزم والثبات . فلم تكن الشدة الّا لتزيده قوة ومضاء. شأن الذهب الذي لا تضرّ به النار بل تزيده صفاء ونقاء.

واما علمه الواسع فهو اشهر من ان يذكر ، وحسبك ما اتصل الينا من تآليفه لترى فيه الشاعر المجيد واللغوي الكبير والفيلسوف واللاهوتي ، واليك بعضاً من ابياته وهي قطرة من بحر.

قال يتشكى بمرارة من بعض الرؤساء المشاقين :

كثر العثار بعثرة الرؤساء ، وغوى الصنار بنزة الكبراء
لما رأيت الراس ، وهو مهشم ، أيقنت منه تهشم الاعضاء.
أن كان طبّ النفس اضحى داءها أنّى تنال البرء من ادواء
هذه ا عمودُ الحق ، وهي ثباتُه ، وبناؤها قد ساد كل بناء

. . .

وكأني به يشكو آلامه الجمة في قصيدته الحائية :

ليس لي راحة بها استريح في حياتي ، الّا يسوع المسيح
عزتي في مذلتي ، وعزائي في بلائي ، وليس عنه جنوح :
هل يرى في سواه لي من سكون ، يا الهي ، من ذا سواك يريح ؟
انا مضنى لا استطيع حراكاً واقع من اذى الخطوب طريح
ضاق صدري عن شرح حالي . . . .

وله في القربان الاقدس قصيدة تقارب المئة والعشرين بيتاً ، وهي قصيدة فلسفية لاهوتية كسائر قصائده الدينية.

وله في مديح العذراء قصائد عدة اودع فيها قلبه المضطرم حباً بها ، ومنها :

يا سدرة المنتهى ، الله رقاك ، طوباك ، يا منتهى الآمال ، طوباك !
يا نور عرش اله انت صفوته ، وخير خلق يرجي نيل جدواك ،
لقد حكمت بار الله في نعم لم يؤتها بشر الا بنعماك ،
من لم تسعه السماوات الرحاب غدا بمعجز الله موسوعاً باحشاك

وله فيها موشح ، هاك دوره الاول :

اني اشكو فواجي الالم . لم يبد لي من جلد

١) الكنيسة الرومانية

زجَّ بي جهلي بقاعِ الندمِ ، والنهى مني شردْ
رشقتني شهوتي بأسهمٍ اورثت قلبي لَـدَدْ
غير اني ارتجـي في سرِّهِ صفوة الله الاحـدْ
خصهـا الله باسمى النعمِ عندمـا منها وَرَدْ.

. . .

وله ايضاً البديعية الجميلة في مديح السيد المسيح ورسله الاطهار في ١٥٦ بيتاً ، نظمها ايام رئاسته على دير مـار اشعيا سنة ١٧٢٤ ، وفيها من المعاني والتخيلات وانسجام العبارات ما يقضي بالاعجاب.

وله حكم جميلة منها :

العدل يبني ، والامان يشيّدُ والجور يفني ، والهوان يبدّدُ ،
والحزم في الاحكام حكم فيصل تشقى بـه ناس وناسٌ تسعدُ ،
والحكم سيفٌ في يمين ولاته قد ينتضى طوراً ، وطوراً يغمدُ.
لولا السيوف الباترات ، لكان هذا الدهر لم تكفف لباغيه يدُ.

. . .

وله قصيدة يذمّ فيها الغنى ويمتدح الفقر الاختياري ، منها :

لا تغبطنَّ امرءاً يزهو بثروته ولا تخلْهُ سيداً ، فالثراء ثرى.
كم اذهبَ الذهب الموموق من شرفٍ سامٍ ، وكم فضة قد فضّت الفكرا ،
والدرُّ كم درَّ ضراً للنفول ، وكم من مستهامٍ بحب التبر قد تُبرا.
ورد الثراء يزيد الناهليه صدًى ، فكلما زاد زادت كبدُهم سعُرا.

وله ايضاً :

الـدهر ريحٌ قلّبُ ، وبنـوه برقٌ خلّبُ
مـا فيهم الا فتى متـأوّلٌ متقلبُ ،
برد سلام وجهـه ، وفـؤاده يتلهّـبُ
ما لذَّ لي يومـاً ، وعمر ابيـك ، منهـم مشربُ ؛
حاولت منهم مهربـاً ؛ لكنَّ اين المهربُ ؟
عـلوا الهداية مثلما عـل الطريق الثعلبُ .
ولربَّ خلٍّ خلتـه ممن بـه قـد يُرغبُ ،
فوجدتـه في الغدر ممن يستعـاذُ ويرهـبُ

وله من قصيدة نُشرت منتخبات منها في المشرق (٢٥[١٩٢٧] ٦٠٢) :

ذا الدهر ميـدان المعائب ، وبنوه فرسان المعاطبْ ،

ما هذه الدنيا التي هي للورى وادي المتاعب .
فخ البلايا والرزايا ، والاسايا ، والمصاعب ،
تجري بساحته الكوا رث والبلى جري السلاهب
دهرٌ عجيبٌ لا تزال صروفه تبدي الاعاجب .

. . .

لو أنّ ضدّي غرّ بي ماكان ذاك من الغرائب ،
بل ، يا شقيق الروح ، انت كسوتني ثوب المثالب
وجعلتني غرضاً لسهم منك راشته المصائب ،
كلماته كالزيت ليناً وهي كاليض القواضب
بحرٌ هدا ، لكنه كم غرقت فيه مراكب !

وله تواريخ عديدة والغاز ونكات شعرية لطيفة . ومما يُنسب اليه قوله في الشرق :

رأيت بلاد الشرق ، في كل حالة ، بلاء وشرّا فاض مكياله الوافي
فرخّمْ على غير القياس وقل اذن : « بلاد بلا دالٍ ، وشرق بلا قافِ ! »

وله ابيات اربعة من النوع البديعي الذي دعاه البعض بالتخيير الكلّي وهو ان يأتي الشاعر بقافية يجوز ابدالها بجميع قوافي الابجدية : وقد نشرها المرحوم الاب شيخو في السنة الاولى من المشرق (١[١٨٩٨] ١٠٧) وهي :

اما تذكرتَ الحمامَ وهوله عجباً لقلبكِ كيف لا [يتهيأ]

فيسوغ بدل القافية باحدى القوافي الآتية : يتقلب . يتفتت . يتحدث . يتشنّج . يتجرّح . الخ . . . .

وإذا تفكرت الحساب وقسطه ، عجباً لفكرك كيف لا [يتأسأ]
او يتحسب . يتشتت . . . الخ .

واذا تفقدتَ الجحيم وحرها ، عجباً لنفسك كيف لا [تتلظأ]
او تتاهب . . . الخ .

واذا تأملت النعيم وحسنه ، عجباً لعقلك كيف لا [يتملأ]
او يتعجب . . . الخ .

خلاصة القول ان حسناته الشعرية كثيرة ، وانه لم يأتِ على الشعر الا عن فطرة شعرية طبيعية وطمعاً بنشر المبادئ الدينية والعلمية . فكان كالنحل الذي يندفع طبعاً وراء الزهر ليجني العسل اللذيذ .

(للبحث صلة)

نظرة في حاضر الاسلام

بقلم الاب لامنس اليسوعي

٢

ومهما يكن من أمر فان عدد المسلمين يظهر على ازدياد متواصل ، وقد قدّرهم الاستاذ ماسينيون في آخر السنة الفائتة ، بـ ٢٤٦ مليوناً[1]. ولما لم يكن من احصاء دقيق في اكثر البلاد الاسلامية ، فاننا نرى هذا التقدير ادقّ ما صُنع من نوعه ، واجدره بالاقتراب من الحقيقة . على ان الاستاذ ماسينيون نفسه يُقرّ[2] بان احصائيات الحكومة الوهابية « زيدت بمعدّل مائتين في المائة » (كذا!) ولكن هذا لم يمنعه قبولها في مجموعه عن اهل العالم الاسلامي ، وعن سكان جزيرة العرب . وكان التقويم نفسه قد ذكر ، في السنة ١٩٢٦ ، مجموعاً لعدد المسلمين يبلغ ٢٢٧ مليوناً . فما هي اسباب هذه الزيادة المهمة ، اي زيادة عشرين مليوناً في اربع سنوات .؟

من اسبابها الاولية زيادة المواليد . وهنا يجدر بنا الانتباه الى امر اشرنا اليه سابقاً[1] وهو ان المسلمين ، ما عدا نحو ٣٥ مليوناً منهم ، يعيشون جميعهم في بلدان خاضعة لسلطة الدول الغربية إمّا مباشرة او عن طريق الحماية او المراقبة او الانتداب . وقد ظهر ان المقاطعات الاسلامية المستقلة يظلّ عدد سكانها على ما هو ، ان لم يتناقص شيئاً فشيئاً ، بسبب الحروب الاهلية ، وتكاثر وفيات الاطفال ، وغير ذلك من الاوبئة المجتاحة . هذه بلاد الجزائر التي لم يكن يتجاوز سكانها المليون سنة ١٨٣٠ ، نراها اليوم ، بعد مئة سنة مرّت على الحكم الاوربي فيها ، وقد زاد عدد اهليها حتى بلغ خمسة اضعافه . ويمكننا القول نفسه عن جزيرة جاوى ، من املاك هولندة ، فان سكانها كانوا يبلغون ، سنة ١٨١٢ ، من اربعة الى خمسة ملايين . فلم يمضِ عليها مائة سنة ، حتى بلغوا سبعة اضعاف ما كانوا عليه ، فتجاوزوا الثلاثين

١) *L'annuaire du monde musulman, 3e édition, Paris. 1930, Leroux.*

٢) الكتاب المذكور ، في حاشية الصفحة ١٠٥

١) راجع كتابنا *Islâm, croyances et institutions, p. 241.*

مليوناً . فاذا قابلنا حالة هذين القطرين بحالة بلاد الافغان المستقلة ، وما ينزل بسكانها من مصائب الحروب الاهلية ، والمجاعات ، والاوبئة ، تحققنا فضل الادارة الغربية ، وعملها في تحسين معيشة المسلمين وزيادة عددهم .

وسبب ثانٍ في زيادة عدد المسلمين ينتج عن ان هؤلاء يقومون بنشر الدعاية لدينهم ، فيستميلون بعض جيرانهم من الزنوج في افريقية ، ومن ابناء اللفوف السفلى في الهند . وقد دفعت الرغبة في نشر الدعاية الاسلاميـة بعض ذوي الاقدام منهم الى تأسيس مدارس خاصة يُربّى فيها المرسلون . فرتبوا فيهـا صفوف اللاهوت والآداب ، وطرق التمارين الجدلية يتمرّن فيها المرسلون على المناظرات الدينية . وأنشىء فيها مجلات خاصة بنشر الدعاية . واشهر هـذه المدارس مدرسة الشيعيين في لكنهو بالهند ، ومدارس الاحمديـة في قاديان ولاهور ، بالهند ايضاً . اما في مصر فان مدرسة « دار الدعوة » التي أنشئت سنة ١٩١٣ في جزيرة الروضة (القاهرة) لم تعش سنتين . هذا واننا نفتقر الى معلومات واحصائيات دقيقة عن اعمال الارساليات الاسلامية ، وعدد ما يكتسبونه بغيرتهم من المسلمين الجدد . ولا يكفي في ذلك افتخار الاحمديـة ، ولا مناداتهم بالنصر والظفر ، ولا احتفالاتهم في جامعهم في برلين او قرب لندرة ، كلما دان احد افراد الانكليز او الالمان بالدين الاسلامي .

امـا التعليم القرآني فاننـا نراه في تأخر مستمرّ ومطرد حتى في البـلاد الاسلاميـة المستقلّة . واجلى مظهر لذلك تطوّر التعليم الرسمي ، ولا سيما في المعاهد العاليـة والثنوية ، فهو يتجرّد شيئاً فشيئاً من تأثير الدين حتى يُصبح لادينياً محضاً كما هي الحالة في تركية . وقد مدّ دعاة التطوّر العصري اصابعهم حتى داخل الجامع الأزهر ، فاغتنموا حاجته الى الاصلاح ، وتدخلوا في ادارة الدروس وتعديل البرامج التي حُوّرت مرات دون نتيجة تُذكر حتى غدا تأثير ذلك المعقل العلمي على شفير هارٍ ، ففقد في عشرين سنة ، ثلاثة اخماس طلّابه . وهكذا القول عن مدرسة «الزيتونة» ، وهي اعلى مدرسة دينية في تونس . واذا اضفنا الى ذلك الروح العصري السائد في الجامعة المصرية الجديدة ، والمستمد مبادئه من النقد الغربي ، وفهمنا انه ابعد من ان يثبت الشبيبة الاسلاميـة في

مبادئها الدينية وعقائدها ، ادركنا الصدمة القوية التي يعانيها اليوم الاسلام التقليدي . وانا نذكر ، بهذه النسبة ، القلق الذي احدثته ، لسنوات قليلة ، مؤلفات الاستاذ طه حسين العلمية ، وهو من خريجي الازهر القدماء ، ومن اساتذة الجامعة المصرية الحاليين.

وحتى ايامنا هذه ، كان السنيون يتفقون جميعهم على تفسير القرآن . على ان السلفية ، وهم الاصلاحيون المحافظون الذين اشرنا اليهم سابقاً ، اخذوا يضعفون هذا الاجماع بكثرة ما يدخلونه من آراء جديدة في التفسير والتأويل ، قصد ان يطبقوا القرآن على ذوق العصر والافكار العصرية . فخالفوا جميع الائمة القدماء بتراعم غريبة عن روح التقليد ، منها ان القرآن يُشير بوحدة الزواج (٤ : ٣) ، ومنها انهم يرون نسخ الآية ٢٣٠ من السورة الثانية . هذا فضلًا عن الميول الظاهرة في اكثر انحاء العالم الاسلامي للتخلص من المحرمات القرآنية الشديدة في ما خص فائدة المال ، وآراء الائمة الاقدمين في الإدانة والربا . فانشئت مصارف كثيرة برؤوس اموال وادارات اسلامية خالصة ليس في تركية فحسب ، بل في مصر ، وجاوى ، والهند ، وغيرها من الاقطار الاسلامية . وتقوم هذه المصارف بجميع اعمال البنوك المعروفة من استقبال المال واداناته بالفوائد المقررة ، كما انها توزع ارباحها على مساهميها كالمصارف غير الاسلامية. وكذلك يشترك كثير من المسلمين بشركات التأمين على انواعها المختلفة . وكلها اعمال مخالفة للشريعة والقرآن.

وفي العالم الاسلامي اليوم حركة نسوية قوية ترمي الى نزع الحجاب ، واعتاق النساء ، وتحتج على استئثار الرجل وحده بحق الطلاق ، وعلى انتقاص حق المرأة بالارث والشهادة. على ان هذه الحركة المتقدمة تقدماً عظيماً في تركية ، لا تزال تلاقي العقبات والمماكسات في بلاد العرب ، وسورية ، والعراق ، والجزائر ، ولا سيا مراكش . اما في مصر فقد ابتدأت الدعاية النسوية على يد المرحوم قاسم امين ، سنة ١٨٩٩ ، وسارت شوطاً بعيداً منذئذ ، ومديرتها اليوم السيدة هدى شعراوي باشا . وقد شاءت دمشق ان تجاري مصر في هذا المضمار فعقد نساؤها مؤتمراً في الصيف الماضي ، واحتججن كلهن على الحجاب

ولبس الخمار احتجاجات شديدة ، ولكن لم يكن منهن من تجرأت فرفعت زاوية من خمارها . ومهما يكن من أمر ، فان الفكرة قد بُثت ، وبُدئ بحركة يؤمل اصحابها انها ستمتدّ في المستقبل القريب . وقد حدّثنا قرّاءنا سابقاً (المشرق ٢٦[١٩٢٨] ٣٦٦)عن تأليف الآنسة نظيرة زين الدين في هذا الموضوع .

* * *

لقد اكتفينا ، في ما تقدّم ، بعرض حالة الاسلام الحاضرة ، على طريقة وضعية بحتة تجنبنا فيها كلّ ما يُشتمّ منه رغبة في المناظرة او ميل الى الجدال . وهي نظرة تظهر كيف يجتهد الاسلام بالسير مع الرقي العصري واتباع الافكار العصرية ،وتظهر خصوصاً تأثير هذه الافكار في الاوساط الاسلامية ، ولا سيما في الشبيبة المتعلّمة . وعلى الجملة نرى ان الاسلام واقف بازاء معضلة مهمّة دقيقة .

فاذا استثنينا بعض المحافظين القدماء ، امكننا القول ان جميع المسلمين يشعرون بضرورة الاصلاح ، وبالحاجة الى الاتفاق مع الرقي العصري . وهو امر تتعلّق به حياتهم او موتهم . فقد طالما عاش الاسلام حياة العزلة والانفراد . اما اليوم فلا يمكنه الاستمرار على تلك العزلة ، ولا البقاء بعيداً عن الحركة العامّة التي تدفع بالمجتمعات الى مجال الحياة المشتركة فتجدّدها . يجب عليه ان يسير مع التيّار العصري ، والّا كان عرضةً للصدمة فالسقوط .هذا ما تحقّقه الاتراك ، بعد ان اهابت بهم روح الوطنية ، فهبوا يتخذون المؤسسات الغربية بكاملها قصدً ان يحاربوا اوربة بسلاحها نفسه ، فيمنعوها عن مزاحمتهم في عقر دارهم . اما باقي المسلمين ، وهم لا يقلّون وطنية عن الاتراك ، فانهم يهتمّون ، قبل كل شيء ، بتأمين معتقداتهم . ولهذا فهم يودّون ان يختاروا من المؤسسات الاوربية ما يوافق القرآن ويحفظ روحه سالمة .

فهل ينجحون في هذا الاختيار ؟ وهل يتمكنون ، قبل فوات الحين ، من تلافي التأثير السيّء المفسد الذي تؤثره المبادىء العصرية في الشبيبة الاسلامية ؟

ان المعضلة كلها في هذه النقطة ، وسيرينا المستقبل كيف يتوفق قادة الافكار الاسلامية الى حلّها .

السجون ونظام التأديب

نظر اجتماعي للاب توتل اليسوعي

٢

دار النفوس المعتلة

تطورت الفكرة في السجون مع الزمان ، وتأثرت بالتعليم الحديث ، ورأت الحكومات المتمدنة من واجبها ان تنظر الى السجون ليس فقط لكونها مقام القمع والانتقام والتكفير ، ولكن مكان الاصلاح والتأديب ايضاً[1] . ومن ثم فللمعتقلين بعض الحقوق في ان يعاملوا ليس فقط بالعدل وبموجب القانون الجزائي ، ولكن بالرفق والانسانية ايضاً .

وانما الغرض من هذا المقال لفت النظر الى ما يحتاج اليه السجناء من مراعاة وعناية ادبية ومادية ، فنكشف على حالتهم النفسية وعن عوامل الشر في حياتهم . فانها لا ترفع عنهم مسؤولية اعمالهم ، وهم متمتعون بكامل حريتهم مخيرون في مقاصدهم وافعالهم ، فارتكبوا الجناية ومن العدل ان يعاقبوا عليها ؛ ولكن ظروف سقوطهم تدل على انهم كثيراً ما يندفعون الى الذنب اندفاعاً عن اضطراب في قواهم العقلية ، وقد تسمع كثيرين من سكان السجون يلعنون ساعة الجريمة ويقولون : طغاني الشيطان . ولا بد من امعان النظر في امرهم ودرس العوارض التي ادت بهم الى السجون لنكون على بصيرة من معالجتهم ادبياً ومادياً .

---

١) راجع المشرق السابق ص ٧٨١

تعليم لامبروزو

واولاً لا بد من تفنيد اقوال الايطالي لامبروزو ، من ينسبون اليه نظرية « المجرم الفطري » . رأى ان بعض العلامات البدنية كهيئة الانسان وحجم رأسه وتقاطيع وجهه وملامح عيونه وغير ذلك من الامارات الفيسيولوجية والبسيكولوجية دليل على ان هذا الانسان منقاد الى ارتكاب الجرائم انقياداً اعمى ، نافياً الحرية الشخصية . وحاول اثبات قوله باختبارات اجراها في السجون وقال ما ملخصه ان الانسان مرتبط برباط السلالة مع سائر الكائنات الحية ، بالصفات الموروثة من صالحة او طالحة ، وان البيئة التي نشأ فيها أدت الى صيرورته في حالة غصبته على ارتكاب الذنوب . وقال ايضاً ان بعض العاهات الدماغية دليل اكيد على ان من ابتلي بها انما هو مجرم بالفطرة ، مضطر الى ارتكاب الجرائم. واستنتج من ثم ان من حكمت عليهم الحكومة بالسجون كان الاولى بها ان تضعهم في المستشفيات او المارستانات .

ولكن العلماء فندوا طراً اقوال لامبروزو . فان مزايا الاب الشرّيرة لا تقع حتماً في البنين ، وربّ ولد صالح نشأ عن أب شرير . وكثيراً ما تصلح التربية الحسنة الفساد اللاحق ببنية الاولاد المولودين من الدين مصابين بالعاهات ، وكثير من الملامح التي اتخذها لامبروزو برهاناً قاطعاً على ان صاحبها انما هو «مجرم بالفطرة» قد تبدو على وجوه الاصحاء الصالحين . وجلّ ما يدعونا الى تفنيد رأيه هو انه ينفي وجود الجريمة الحقيقي بنفيه صدورها عن العقل والارادة والحرية ، ويدعو الى نقض الشرع في دعائمه في ذمّه العقوبات والسجون .

ولكن فيما نحن نبتعد عن لامبروزو ، علينا ان نتجنب التطرّف الضارب صفحاً عن العوامل والظروف التي تخفف من مسؤلية المجرمين ، فحقوقها مراعاة في تشريع البلاد المتمدنة ، وهي الداعية الى تلطيف العقوبات ؛ وقد اوحت الى اولياء الامر نظامات السجون الحديثة المختلفة على اختلاف البلاد واخلاقها ومشاربها ، كما سنرى . وهي التي ادخلت في القانون الجزائي في بلادنا المواد

الموجبة للعذر المخففة انواع القصاصات[1] . لان النفس وقواها ، وان تكن باطنياً وفي الداخل ، كما يقول الفلاسفة ، غير مقيّدة بالمادة ، فهي مقيدة بها خارجياً وبانواع شتى . وبهذا المعنى صدق من قال ان العقل لا يفقه الا ما ناله من الحواس . ولا بد من امعان النظر في هذا الكلام تخطياً الى ما نزيده من الكشف على حالة السجين النفسية .

العقل الصحيح في الجسم الصحيح

هذا غاية ما كان يتمناه الرومان للانسان في حياته حتى سار عندهم مثلاً فقالوا « *mens sana in corpore sano* » وهذا ما تعلمنا طلبه من الله في صلاتنا الكنائسية : صحة النفس والجسد ، اذ فيها الوقاية من جميع الشرور ، ولا تنوب البشر نائبة الا عن اختلال فيها . فمن تمكن من كامل قواه الروحية والجسدية تمكن من القيام بواجباته احسن قيام ووفى الطبيعة البشرية حقها . والّا فلا . لان الانسان حيوان ناطق ؛ بجسده يشبه البهائم وبروحه يشبه الملاك . فالفرق بينه وبين العجماوات هو انه يعقل ويفهم ولذلك سمي ناطقاً ، والفرق بينه وبين الملاك هو ان نفسه الروحانية مقيدة في اعمالها بالحواس ، فلا يدرك بالعقل الا ما يناله بالحواس خلاف الملاك . وان الصلة في الانسان بين النفس والمادة والعقل والحواس معهودة بشروط كثيرة اذا ما اضطرب احدها تبلبلت من ثم حياة الانسان في سائر مرافقها تبلبلاً متفاوتاً على تفاوت الاضطرابات الواقعة في تلك الشروط .

قال الدكتور غراسه[2] ان الانسان في حياته هذه لا يستطيع الاحساس والفكر والارادة طبقاً للواجب ما لم يكن جسده صحيحاً لا تمسه شائبة ، وعلى الخصوص ما لم يكن دماغه وخلاياه النخاعية معصومة من كل ضرر . ولما كان هذا التعادل الكامل في العناصر البدنية مما لا يكاد يوجد بين البشر ، فلا عجب ان لا يكاد احد منهم يعصم في حياته واعماله من شائبة دالّة عن

---

١) راجع باز : مرقاة الحقوق ، عدد ٦٢٣ وما بعده

٢) راجع مجلة العالمين الافرنسية ، ٢٥ حزيران ١٩١١

موضع خلل في عقله . وفطن العرب الى هذه الحقيقة[1]

« قال ابو هلال : ومن العجب ان العرب تمثلت في جميع الخصال باقوام جعلوهم اعلاماً فيها ، فضربوا بهم المثل اذا ارادوا المبالغة ، فقالوا : احلم من الاحنف ، ومن قيس بن عاصم ، واجود من حاتم ، ومن كعب بن مامة ، واشجع من بسطام ، وابين من سحبان ، وارمى من من ابن تقن ، واعلم من دغفل ، ولم يقولوا اعقل من فلان ، فلعلهم لم يستكملوا عقل احد ، على حسب ما قال الاعرابي وقد قيل له حدّ لنا العقلَ ، فقال : كيف احده ولم اره كاملاً في احد . — وقالوا لكل شيء غاية وحدّ ، والعقل لا غاية له ولا حدّ ، ولكن الناس يتفاوتون فيه كتفاوت الازهار في الرائحة والطيب . »

لنضربن صفحاً عن اسباب ذلك الخلل في الانسان وعن الاضطراب الذي يحدث فيه من جرّاء الخطايا ، مع ما تجرّه من العادات السيئة ، وعلى الخصوص من جرّاء الخطيئة الاصليّة وعواقبها الذميمة ؛ وحسبنا النظر الى القضية من الوجهة التي تهمنا ، اعني الكشف على الاسباب التي دفعت المذنبين الى ارتكاب الذنوب . فانما هي الاختلال في توازن قواهم العقلية والجسدية . كما ان اضطراب الامزجة في البدن يولّد الداء ويستدعي الدواء ، كذلك ايضاً نقول ان اعمال المجرمين قد تصدر عن اضطراب يستدعي المعالجة مع مراعاة الفرق بين امراض الجسد وامراض النفس فان تلك غير مقيدة غالباً بحرّية الانسان اما هذه فقد يغلب عليها تصرف الانسان الاختياري ، وان يكن معهوداً بشروط غير اختيارية ، وبعضها متعلّق بعوارض خارجة عنه واثرت فيه تأثيراً : كالنشوء والسلالة ، والتربية ، والبيئة ، والطبقة الاجتماعية ، وسائر الظروف التي تتلوّن بها حياة الافراد ، والواجب مراعاتها في تعيين عاهاته النفسية .

علل النفوس

العقل الشاذ

ضلَّ من ظن ان سكان السجون طرّاً هم من الناقصي العقل المعدومي الذكاء ، القدم ، البلهاء ! . قد جرى احصاء المجرمين في اسبانية وتوزيعهم فئةً فئةً على تفاوت درجات ذكائهم ، ففحصوا منهم ٢٣،٦٠٠ فكان منهم ٦٧،٥٤

١) النويري : نهاية الارب ٣ : ٢٢٢

بالمئة متمتعون بكامل عقلهم و ١٠,١٧ بالمئة مختلو الشعور بعض الاختلال ؛ و ١٨,٨٠ بالمئة مفسودو الرأي و ٧,٥ ناقصو العقل ، و ٢,٧٤ معدومو العقل .

ودرس احد الاطباء حالة السجناء الفكرية وكان عددهم ٢,٠٠٥ فكان منهم ١,٢٤٩ ذوو ذكاء متوسط ، و ٣٧ ذوو ذكاء نابغ ، و ٣٥ بلهاء اغبياء[1] . ومن زار السجون في بلادنا وتحدث الى سكانها وامعن النظر في حالتهم الفكرية وجدهم اجمالاً غير مختلفين عن اولاد عمهم في اوربة.

ومما يزيد حالتهم تفاقماً انهم في الغالب لم يتثقفوا بالثقافة الادبية الكافية ، ولم يفقهوا مبادئ الدين والشرع الادبي فلا يسمعون لضميرهم او كأن دود ضميرهم قد مات فلا وخز ولا تبكيت . وان محيط السجون وامثال المذنبين الرديئة عوض ان تقوم معوج عقولهم تزيدها تلوياً وفساداً . وعدد عظيم من السجناء في بلادنا اميون لا صلة لهم بالحياة الفكرية ، الا بما يسمعونه ويرونه في محيطهم السيئ الرديء.

الارادة بين عناد وانقياد

قال الدكتور غراسه ان ضعف الارادة هو اجلى ما يبدو من مظاهر العاهات النفسية في سكان السجون وهذا ما تشهد عليه اعمالهم طراً . ان عزائمنا في الحياة العادية تشتد وتتق باسباب معقولة ترتبط بالتفكير ارتباطاً بطيئاً او سريعاً بعد فحص العوامل والظروف ، والمقابلة بينها ، واستنتاج نتائجها ؛ وان قوة الارادة في الانسان مؤسسة على تلك العزائم . اما قوة الارادة عند الكثيرين من المقبلين على الاعمال الذميمة فهي عدم او اشبه بالعدم لانها غير مدعمة على اساس معقول ، ومع ذلك فانهم عنيدون متمردون تنثني البهيمة عن غيها ، وهم عن عنادهم لا يتزعزعون . لا تسألهم كيف يفصلون وكيف يوصلون وجل ما عهدوه في انفسهم هو انهم اشعروا بدافع دفعهم الى العمل فقاموا على وجهم يهيمون . فلا رأي لهم صادر عن مشورة او عن مقابلة في الامور وعلاتها ولا يردعون النفس الامارة بالسوء ، واذا ما دبروا الحيلة على الجريمة فلا يحسبون

---

١) راجع جولي : الجريمة ، باريس ١٨٨٨

حساباً لديَّان ولا لقاضٍ ، ولا يخافون الله ولا الناس .

قد يترددون في مباشرة الفظائع لا عن وسواس بالضمير ، ولكن خشية ان يُلقى القبض عليهم ويطرحوا في السجون ، فيتداولون الوسائل الواجب استعمالها لاتقاء الوقوع في ايدي الجندرمة والسقوط في السجن . اما العذاب والاضرار التي يوقعونها في غيرهم ، فليس من طائل تحتها في نظرهم ، وهم يتوهمون ان الجريمة اذا ظلّت مكتومة لم تكن جريمة . فاذا خيم الظلام على حركاتهم وامنوا مراقبة المراقبين اقبلوا على الفظائع ، لا عن ارادة قوية ولكن عن اندفاع اعمى .

اما عواطفهم واحساساتهم فكأنها لا وجود لها . في الغالب لم تتيقظ في قلوبهم عواطف المحبة والحنو في التربية العائلية ، وقد اعتادوا منذ الصغر الجولان والدوران وفقدان الزمان . لا يرفقون بانسان ولا بحيوان ومع ذلك فربما اعتراهم عاطفة شفقة مزوّرة فيبكون على ديك مكسور او على كلب مدعوس ولا تدمع عينهم لدموع الثكلى ، وربما سروا عند مشاهدتهم عذاب غيرهم . يفاخرون بشجاعتهم واعمالهم المستغربة وهم مع ذلك جبناء كذابون . ينفرون من نصائح الصالحين وينقادون الى خزعبلات المشعوذين وخرافاتهم .

عوامل الداء

منها المادية والاقتصادية والاجتماعية والادبية

المادية

من اعظم العوامل الدافعة الى ارتكاب الجرائم شرب المسكرات والادمان على المخدّرات . قبيل ان يصعد على خشبة المشنقة في ساحة العدلية في بيروت ، في شهر نيسان الماضي ، سُمع احد الاثنين المحكوم عليهما بالاعدام يقول جهاراً « العرق العرق ! هو القاتل » . وروي عن محمود فهمي القيسي باشا مدير ادارة عموم الامن العام في مصر قوله : أن احدى علل ازدياد الجرائم هي الكوكايين . وقال : ان جملة من كانوا في السجون في مصر بسبب المخدّرات ٤٦٣٤ . وعالج

السيد جولي الاختصاصي في العلم الجنائي قضية المخدرات والمسكرات ، فقال ان المشروبات الكحولية مضرة ولكن محلات الشرب اضر ، اذ فيها تختمر افكار المدمنين على الشرب ومنها يندفعون الى ارتكاب الجرائم. وقال الاستاذ دوبرا ان علّة العاهات العقلية الاساسية انما هي التسمم بشرب الكحول. وقال فرياني : زهاء نصف السجناء من الاحداث هم ابناء اهلين قد اعتادوا المسكرات.

الاقتصادية

قال الافرنج: الجوع مرشد فاسد . وقال القيسي باشا: « ان ازدياد الجرائم في بعض السنين دون البعض الآخر سببه الازمة الاقتصادية . اذا تدهورت اسعار القطن وانقبضت الايدي التي كانت في الامس مبسوطة للعطاء وجاع الناس حدثتهم النفس بالسرقة واذا سرقوا مرة تعودوا السرقة واندفعوا في تيار الجرائم.»

ولا حاجة الى الاسهاب في ذكر الدواعي الدافعة الى التهتك والفجور فانما هي الجوع غالباً. الجوع الدافع النعجة لتلتمس الكلاء في جوار الذيب ، والمؤدي ببنات الجبل الفقيرات الى المدن للخدمة فمن ثم الى التشرد والسقوط والسجن. والجوع هو الداعي الاساسي الى التلصص والغزو والغارات والقتل.

الاجتماعية

مصدرها في الغالب النعرة الدينية ، والحزازات الحقدية الكامنة في الصدور وان يكن عقلاء الناس لا ينقادون الى تأثيراتها في حياتهم ، فهي مع ذلك قابضة على ناصية حياتنا الاجتماعية في الشرق. فاذا وقعت ازمة او حدث خلاف بين طائفة وطائفة ، اتسع الخرق سريعاً ودب الفساد على الخصوص في العقول القاصرة والارادات الجموحة.

وضع الاستاذ فؤاد عمون[1] كتاباً بالافرنسية على الجنايات في بلادنا ، ووددنا لو عرب لقراء العربية لما فيه من الفوائد العميمة ، بغض النظر عن بعض الاقوال

(1) Fouad Ammoun : *La Syrie criminelle*, Giard, 1929.

والآراء التي لا نوافقه عليها قال في الجرائم التي تسببها النعرة الطائفية ان عددها قد بلـغ مبلغاً هائلاً في الايام العصبية ، سنة ١٩٢٣ ، في مقاطعة الشوف ، وعدد سكانها لا يجاوز الستين الفاً ، فقد احصوا ١٧ حادث قتل في شهر واحد وسببه النعرة الطائفية. ومثل تلك الحوادث جرت في البقاع. ولا تسأل عن الدم الـذي اهرق في الفتن التي قام فيها العنصر القوي على العنصر الضعيف ، واعمل فيه السيف والنار في جبل عامل بعد الاحتلال وفي ما قبل ذلك في سائر البلاد.

الادبية

السواد الاعظم من السجناء لا يعرفون القراءة ولا الكتابة ، ولم يتفقهوا على معلم ، ولم يتهـذبوا على مهذب . فنالهم ما نالهم من الفساد من عـدم ارتيادهم المدارس . واعلّ بعضهم دخل المدارس وتعلم ، لكنه لم يجـد في اساتذته القدوة الصالحة ولم يتهذب . وان وجود اساتذة غير مستحقين ثقة الامة فيهم لامر معروف حمل الوزير ادّه على اغلاقه بعض المدارس اتقاء الشرور الناجمة عنها للناشئة. في مثل تلك المعاهد تسلم مقاليد التعليم رجالاً خيم على عقلهم الظلام ، ودبّ في فؤادهم الفساد ، فلا خير يرجى منهم لدمار الامة . ومن المضرّات بالاولاد المدارس اللادينية او المدارس التي لا يلقن فيها التعليم الديني الكافي ، لغرس خوف الله في القلوب والردع عن المحرمات. ان الاحصاءات في هذا الصدد لم تتم في بلادنا فلا بأس ان نتخذها عن غيرنا عبرة

نشرت وزارة التجارة في كندة الاحصاءات الجنائية في السنة ١٩١٥ وفيها تناسب بين عدد الجرائم التي ارتكبها الاحداث في جميع الاقاليم . قابلوا بين اقليم انطاريو المتغلب فيه التعليم اللاديني ، واقليم كيبيك الاكثر عناية بالتربية الدينية ، وكلا الاقليمين يكادان يتساويان في عـدد السكان وفي كل منهما زهاء مليوني نسمة ونصف المليون . اما الاحداث المجرمون فهم في البلاد ذات التعليم الديني ثلث ما هم عليه في غيرها . وقابلوا بين مدينة تورونتو وعـدد سكانها زهـاء ٤٠٠,٠٠٠ ومدينة مونريال وعدد سكانها زهاء ٥٠٠,٠٠٠ فكان عدد الاولاد المحكوم عليهم في الاولى ٨٥٣ وفي الثانية ٥٦٨ في مدة واحدة ، ولاحظوا ان النفوذ في التعليم في مونريال انما هو للمدارس الكاثوليكية ،

وكل يعلم ان المدارس الكاثوليكية هي شديدة الحرص على التعليم الديني ، فجاء مثلها برهاناً على ان قلة التعليم الديني او عدمه هو من اقوى عوامل السوء.

كثرة الجرائم في بلادنا

حيث تنتشر الاوبئة ويفسد الهواء ، يكثر عدد المرضى. ولما كانت عوامل السوء على ما وصفناها من الكثرة والقوة فلا عجب ان يكون عدد الجرائم في بلادنا كثيراً ، وعدد السجون عشرات ، وكلها ، على رحبها ، تغص بالسكان . لا تفتح جريدة اليوم الا وترى جزءاً عظيماً من اخبارها المحلية مدبجاً باخبار الجرائم كأن دائرة الامن العام عاهدت ادارة الجريدة على عمود كامل في الصحيفة كل يوم من ايام الاسبوع. هي السلسلة المشؤومة وحلقاتها السرقات والتعدي والقتل والظلم . تجر المذنبين وتزجهم في السجون . كم هو عددهم ؟

قال السيد فؤاد عون ان نظام العقاب في سورية انما هو في تطوره الاول ، ولم يبلغ بعد الى ما يرجى منه من الاصلاح واول خطوة في سبيل الاصلاح هي وضع الاحصاءات الرسمية ، وهذه الاحصاءات لم تتم بعد في بلادنا. وبذل المؤلف المذكور جهده في عد الجرائم في البلاد ، والمقابلة بينها وبين غيرها افادة وانذاراً فقال :

في ١ كانون الثاني سنة ١٩٢٨ ، كان عدد المحكوم عليهم او المعتقلين في سجون سورية ولبنان وبلاد العلويين وفلسطين ٥,٨٧٧ ، على عدد السكان العام في تلك البلاد وهو ٢,٩٢١,٠٠٠ مما يؤدي الى معدل ٢٠١ على ١٠٠,٠٠٠ ساكن.

اما في فرنسة سنة ١٨٦٩ ، في عهد كانت الحياة الاقتصادية اخف وطأة على البلاد منها عندنا ، فكان عدد السجناء ٦٥.٠٧٥ على ثمانية وثلاثين مليوناً او ١٧١ على ١٠٠,٠٠٠ ساكن . هذا ولم يشمل احصاء سورية عدد المعتقلين بسبب الثورات الاخيرة من الذين لم ينالوا العفو . فضلاً عن ان العفو العام سنة ١٩١٨ كان قد افرغ السجون من سكانها . فاحصاء الاستاذ عون في سورية يتناول

المحكوم عليهم منذ عشرين سنة واكثر . فتصور الفرق واحكم في كثرة عدد المجرمين في بلادنا ، وفي واجب التماس سبيل الاصلاح لتلك الحالة المشؤومة باستعمال وسائل التأديب.

واذا ما نظرنا الى تطور الحركة في دور القضاء ، رأينا ان عدد الجنايات اخذ بازدياد سنة فسنة.

في بيروت من ١٩١٩ الى ١٩٢٥ ، زاد عدد القضايا ٤٧ بالمئة ؛ وفي دمشق من ١٩٢٢ الى ١٩٢٧ ، ٧٢ بالمئة.

اما في فلسطين وقد اجروا الاحصاءات الرسمية ، فالبرهان واضح على تفاقم الداء وتكاثر عدد الجرائم واليك اللائحة فاحكم :

	١٩٢٦	١٩٢٧	١٩٢٨
القتل العمد	٩٥	٠٠٨٤	٠١١٨
القتل من غير عمد		٠٠٥٥	٠٠٨٦
الشروع بالقتل		٠١٠٤	٠١٢١
الجرح البليغ		٠٢٩٦	٠٣٢٣
التلصص		٠٠٩٥	
السرقة		١٣٥٦	١٤٩٤
السرقة المشكلة		٠١٥٨	
هتك العرض		٠٣٤٥	٠٤٠٩
الحريق العمد		٠٤٧٤	٠٦٣٦
تزييف النقود		.٣٧٨	.٣٥٤
شهادة الزور		٠١٤٩	٠٢١٩

من تفاقم الداء تبدو ضرورة معاجلة الدواء واستعمال وسائل التأديب . ليس فقط بالحجر على المعتقلين ، ولكن بتشغيلهم وتعليمهم. والعناية بهم عناية الاستاذ بتلميذه ، والطبيب بمريضه ، كما سترى.

(للبحث صلة)

من حدائق النساك

الاب لورنسيوس الحيمري الديراني

الناسك الحلبي اللبناني

بقلم الاب لويس الحداري الديراني
المدبر الحلبي اللبناني ، والوكيل الاسقفي في كرسي ابرشية صيدا المارونية

١

توطئة

نحمد الله الذي انعم علينا اولاً بوديعة الايمان ، ايمان الكنيسة المقدسة الكاثوليكية الراسخة اساساتها على الصخرة البطرسية . ونشكره ثانياً لايجاده ما بيننا نفوساً تقية ، تضيء امامنا كالمصابيح في دجى ارضنا الشقية ، فتمهد لنا سبيل الخلاص الذي يتراءى لنا مغطىً بالاشواك . اما بعد فقد ترددنا كثيراً قبل ان نُبرز الى حيّز الوجود خلاصة حياة الأب لورنسيوس الناسك الحلبي الذي هرب من العالم وشهرته والتجأ الى الدير ، ولم يكفهِ الدير بل اختبأ في زوايا المحبسة ليعبد الله بعيداً عن قرقعة المجد الباطل . ولكن بعد التفكر مليًّا رأينا من النقص ان نحرم النفوس التقية من كنز غنيٍّ بالفضائل ، وكان مما دفعنا ايضاً الى تسطير حياته النسكية الصالحة ان نكمّ افواه المتشدّقين زوراً وبهتاناً بان محبة المسيح رقدت مع الاجيال الغابرة. فهذه الترجمة هي برهان ساطع على ان المسيح هو ملك كل الاجيال . وفي كل آن يجد نفوساً كريمة تتفانى بخدمته . يسوع وحده سلطان القلوب ، وهو وحده غلبت محبته العصور ، وعاشت ما وراء القبور ، ووجدت لها ملايين من الشهداء يثبتون ذلك بدمائهم ، والوفاً وربوات من القديسين المعترفين والنساك الابرار ينادون بها فوق المنابر ويعظمونها بسيرة حياتهم القشفة ، ويتفاخرون بانهم أسراها .

فعظيمة اذاً هذه الشعلة العجيبة من المحبة التي تكهرب القلوب من بعد انقضاء عشرين جيلاً ! وعجيب الله في اصفيائه !

وصف المعبد

كلمة عن العزلة

هنـاك بين ربى لبنان الجميلة التي تطلُّ على بحر الروم المملوء بالتذكارات التاريخية ، قرية حقيرة جادت عليها الطبيعة بغزارة الماء وطيب الهواء ، وأنعمت عليها السماء باكثر من ذلك اذ ارسلت اليها النساك الاتقياء الذين اشتهروا بالعلم والفضيلة . هذه القرية تُسمى مار بطرس كَرْم التين. موقعها شرقي بيروت ، بالقرب من قريتي بكفيا وبيت شباب. بجوار تلك القرية دير لرهبانيتنا الحلبية ، والى جانب ذلك الدير كوخ صغير شيدتـه يد التقوى ، وزينته يمين الحب ، فاصبح معبداً لتمجيد الله ترتفع حوله جفنة من الكرم فتكوّن خيمة واسعة لا يشبع الناظر من التأمل فيها ، نظراً لما هي عليه من بديع الترتيب والاتقان. وهناك ايضاً اشجار جميلة من السرو والشربين كأنها سَرِدَة تحرسُ ذلك المكان ، تتمايل عجباً في الجوّ عندما يحركها نسيم ذلك الوادي ، فيخيل لك انهـا ترتل أنشودة الحرية والجمال ، وتسبح الله القادر المتعال . وهناك اخيراً صخور شامخة تتدرّج فوق أودية عميقة ، كأنها اشباح تفكر في سرّ هذا الكون ، فتصيغُ اجمل المناظر التي تبرهن عن قدرة الخالق العظيم.

هناك في وسط تلك العزلـة التي يؤنسها حفيف الاشجـار وخرير الانهار وزقزقةُ العصافير، بعيداً عن شرّ الانسان، في وسط الهدوء والسكينة ، تحت ذاك الجو الـذي ترفرف فيه ملائكة السلام ، قد اختار ناسك مار بطرس مسكنه ، ليعبد الله ويحارب الشيطان والعالم واللحم . هناك في تلك العُزلـة أقام مذبحاً ليصلي ، وهل مثل العُزلة للصلاة ؟ العزلة طعام الفكر وقوت الحب ولذة القلب... في العزلة تنزل الالهامات الالهية التي تشفي النفس من كلومها السرية ، فتنسجم بسهولة دموع التوبة النقية ، في العزلـة تختبئ الطهارة ويلتجئ الضعف المضطهَد ؛ في العزلة تتمرّن النفس على المكافحة ، ويرتاح الضمير المضطرب ؛ في العزلة يحلو التأمل في كمالات الخالق لان فيهـا تنضج الافكار السامية ؛ في العزلة جاهد انطونيوس الكبير جهاده المشهور وغلب

عساكر الشياطين ؛ في العزلة بكى اوغسطينوس ضلاله وصار مثال الوداعة ونبراس الهداية في بيعة الله . وفي العزلة تعلم جمهور القديسين الجهاد المقدس ، وألّف العلماء تآليفهم الشهيرة واخترعوا اختراعاتهم العظيمة . واخيرًا في هذه العزلة المقدسة ، اراد الاب لورنسيوس الحيمري ، صاحب هذه الترجمة ، ان يتم حياته ، فنمت زنبقةً طاهرة يفوح منها عبير التقوى . وفي العزلة ايضاً يقضي حياته الآن عبد المسيح الحايك ناسك رهبانيتنا الحالي سائرًا في طريق الكمال بنشاط غريب .

فيا ايها القارئ الكريم عندما يتلبد جوّ حياتك بالهموم والاحزان ، أو تهبُّ عليك رياح الضغائن والاضطهاد ، وحينما ترى الدنيا مع سعتها قد ضاقت في وجهك ونفرَ منك الصاحب والصديق ، لا تطلب دواء لنفسك سوى الانفراد ، حيث تقدر على مهل ان تغسل نفسك مما لحق بها من أقذار العالم . انا لا أقول لك اذهب وتنسك ، لان هذه الهبة عظيمة جدًا لا يمنحها الله الّا لمن يشاء ، وما هي الّا قسمة النفوس الكبيرة اولئك اللواتي يلمسهن الله باصبعه المقدسة . لا ، انا لا اقول لك ذلك وانما ألحّ عليك ان تنفرد من حين الى آخر ، وتدخل الى ذاتك مضيئاً سراج العقل ، ومفتشاً بتدقيق عمّا يزعج داخلك لتصلحه . واذا اسعدك الحظ وأتيحت لك الفرص لتزور ناسك مار بطرس ، فلا تُبطئ ، لانك تجد لنفسك راحة وسعادة مماً تنشقهُ هناك من أريج الطهارة والقداسة . هناك تنظر كيف يجاهد القديس جهاده العظيم من اجل الله بهدوء وسعادة داخلية . هناك ترى وداعة المسيح بادية على محيا عبده الامين ، فتتعلم ان تكون متواضعاً ومحباً وتدرك معنى الكفران بالذات وتفهم حقيقة معنى كلمة المسيح : « احملوا نيري عليكم . فان نيري طيب وحملي خفيف . » مهما كان قلبك ، مضطرباً وعقلك متشتتاً ، تحدّث مع ناسك مار بطرس واكشف له همك ، فتشعر حالًا بان السلامة ولجت قلبك وساد السكون في داخلك ، مماً يسكب على جراحك الخفية من طيب اقوال الانجيل المقدس . انا لا ابالغ بما اقول ولا اشهد ذلك من نفسي فقط ، بل انقل اقوال الآخرين من مسيحيين وغير مسيحيين الذين شهدوا بان في ناسك مار بطرس شيئاً غير

اعتيادي يرفع القلوب الى ما فوق . فهذا الشيء الغير الاعتيـادي ان هو الّا الوداعة ... ولا عجب في ذلك أليس هو تلميذ ذاك المعلم الالهي القائل : « تعلموا مني ، فاني وديع ومتواضع القلب.»

إي نعم الوداعة والتواضع ، او بالاختصار البساطة المسيحية ، أُنس الفضائل ووداعتها ورابطة القلوب بعضها ببعض ، هي الفضيلة المميزة خصوصاً في ناسك مار بطرس ، فتراها ظاهرة ظهورًا حسياً في ملبسه وكل اعماله . ادخل كنيسة المحبسة فترى البساطة مجسّمة هناك بأبهى معانيها ، لا سيا في ذاك المذبح الذي أقلّ ما يقال فيه انه يجذب القلوب رغماً الى تمجيد الله . وما هو ذاك المذبح ؟

هو درجات ثلاث من الحجر الشحمي الثمين ذي الصفاء الاصفر الزيتي ، يعلوها بيت قدس الاقداس يرتفع فوق اربع قوائم من الحجر ذاته ، ويحيط به الى الجانبين عمودان شبه اكليل جميل . اما الزهور الطبيعية والاصطناعية التي تزين ذاك المذبح ، امام رسم العذراء المجيدة يحفّ به جمهور من رسوم القديسين العظام ، فانها آية في اللطف . وزد على ذلك صور درب الصليب الخشوعية ، فيتمثل امامك جمال ذاك المعبد الصغير الذي أعد لعبادة الله . اما عن تلك الهيبة المالئة الكنيسة فحدّث ولا حرج . نعم انها توجد في كل بيوت الله ، ولكنها هناك بنوع خاص . فكأنه سبحانه وتعالى يُسرّ باظهار مجده في مثل تلك المواضع .

فاذا تمّ لك ايها القارئ الكريم أن تزور تلك المحبسة وتتمتع بكل تلك المشاهد الحلوة . فلا تنسَ عند عبورك من باب الكنيسة الخارجي ان تلتفت الى يسارك ، وتحيي بخشوع واحترام ضريحاً من الرخام ... ينام فيه نومه الابدي منشئ ذاك المعبد ، الاب لورنسيوس الحيمري ، صاحب هذه الترجمة .

هناك في ذاك الموضع الصغير ترقد حياة طويلة مملوءة بالجهاد والمشقات في سبيل الله . هناك تكمن الحلاوة والوداعة والبساطة الملائكية . هناك يسكن الفضل والاناة . هناك ترفرف روح لورنسيوس الطاهرة . فعليها ، وعلى الانفس التقية ، السلام العاطر .

حداثة لورنسيوس

وُلد لورنسيوس الحيمري في قصبة دير القمر ، والقرن الثامن عشر شيخ ضئيل يمشي على شفير الهاوية . فتلاقيا وتصافحا ثم افترقا كل في طريقه . مشى الشيخ الى القبر ؛ ودبّ الطفل الى الحياة والجهاد ، يحفظ بامانة في قلبه ذكر صديقه الشيخ ، اي تلك البساطة المسيحية التي امتاز بها الجيل ، قبل ان تسرّب اليه روح الضلال العصري . لم تنعم الطبيعة على لورنسيوس بالحسب الشريف والنسب العالي . ولكن ما ضرّ البنفسجة ان يكون نباتها اصلًا وضيعاً . أليست هي تلك الزهرة الجميلة الزكية العرف التي تملأ البراري من طيب أريجها ؟ وهكذا قل عن لورنسيوس الصغير الذي كان يُدهش مَن حوله ببساطته الملائكية ، وفضائله المسيحية . فكان ابوه ، يوسف الحيمري ، وامه ، بديعة الكك ، ينظران اليه بعين ملؤها الفرح والابتهاج ويشكران الله على ما أنعم عليهما . وكما تنمو زنبقة الحقول الجميلة تحت أشعة شمس الربيع ، هكذا كان ينمو صغيرنا بالطهر والبرارة والجسم والعقل ، تحت أشعة شمس الحب الوالدي ؛ الى ان ترعرع ومال الى العلم ، فارسله والداه الى مكتب البلدة ، وفيه تلقى مبادئ اللغتين العربية والسريانية .

نعم انه كان من الفئة المتوسطة بالذكاء ، ولكن رغماً عن ذلك كان انموذج النشاط بين اترابه ومثال الوداعة بين رفاقه ؛ ولذا اكتسب رضى معلمه وحبّ اقرانه . وكانت الرحمة الفضيلة المميزة فيه منذ الصغر . فكان يبكي عندما يسمعُ ان احد الفقراء محتاج الى القوت او الى الكساء . وكان يتصدّق ما تخوّله حالته . اما عبادته فكانت حسنة جدًا ، وخصوصاً نحو البتول . كما كان يصرّح به هو نفسه في شيخوخته لاحد اصدقائه من وادي شاهين ، قال : « كنت لا اعرف ان اقضي نهارًا واحدًا من دون ان أحييها مرارًا ، جاثياً . وهي بلا شك قد استمدت لي نعمة الخروج من العالم الغرّار منذ تركته في سن الخامسة عشرة . . . »

(لها بقية)

بعض مظاهر الشعر العصري

عود على بدء

بقلم فؤاد افرام البستاني
استاذ الآداب العربية في كلية القديس يوسف

١

تقدم لنا في المجلّد الخامس والعشرين من «المشرق»[1] بحثٌ ضافٍ عن الشعر العربي العصري ، وانواعه المختلفة ، ووجهة تطوّر كلٍّ منها ؛ وعن ميول اربابه الى اساليب جديدة تبدو ، من حيث المعنى ، بما ينزعون اليه من مزج شخصيتهم بجميع موضوعات الشعر ، ومن حيث المبنى ، بما يرغبون فيه من السير على اعاريض واوزان متنوّعة جديدة : حتى كدنا نحصر الشعر العصري كلّه في النوع الغنائي ، مع ما يخالطه احياناً من افكار فلسفية واخلاقية ، يبرزها الشاعر كانها نتيجة اختباره في الحياة ، ولا يقتصد في عرضها ، سواء كان موضوعه القصة ، او التمثيل ، او الوصف او ما سوى ذلك . ولم نألُ جهدًا منذئذٍ في الاطلاع على ما نُشر من آثار الشعر ، وفي تقييد ما صلح منها مقياساً لتطوّر تلك الحركة المباركة ، حتى اجتمع لنا ما يدلّ دلالةً كافية على اتجاه بعض الفنون الشعرية ، فرأينا ان نعود على ما بدأنا به ، ونتمّ ما باشرناه من هذا البحث ، قاسمين مقالنا هذا على طريقة السابق ، عارضين لكل فنّ على حدة ، قصدَ ترتيب المعلومات ، وتسهيل الرجوع اليها .

الشعر التمثيلي

اول ما يبدو لنا تطوّر الشعر في النوع التمثيلي الذي تحقّقنا ضعفه في المقال

[1] المشرق (٢٥ [١٩٢٧] ٥٤٢ : ٦٢٢ : ٦٧٣)

السابق[١] ، اذ لم نرَ الّا عدداً قليلًا من الروايات الشعرية الصرفة، على نقص في تأليفها ، وقصور في توفيتها شروط الفنّ . ولا يفيد هذا ان الشعر التمثيلي بلغ أوجه اليوم ، لا . انما ظهر فيه تجربة جديدة نراها جديرة بالذكر ، وان لم تكن غاية ما نتمناه من شعرائنا ، وهي «مصرع كليوباترا» لأحمد شوقي بك[٢] التي وصفناها باختصار في احد اجزائنا السابقة[٣] ، ونذكرها بشيء من التبسط في مقالنا هذا :

تتناول الرواية قصة كليوباترا المشهورة ودخولها بين انطونيو واوكتاف في معركة «اكتيوم» ، على اهتمام قليل بالتاريخ التقليدي ، ورغبة من المؤلف في ان يبرّر الملكة التي يجعل منها مصرية صميمة لا همّ لها الّا خدمة وطنها ، ولا غاية تسيّرها الا رفعة شأنه . لكننا ندع جانباً الوجهة التاريخية من الرواية، اذ للمؤلف الحقّ ان يتصرّف ببعض وقائع التاريخ على ان لا يعاكسها ، فننصرف خصوصاً الى نقد قيمتها الفنية والادبية.

اما من حيث التأليف الفني المسرحي فنرى ان الشاعر لم يتوفّق كل التوفق. فلم ينجح النجاح الكافي في تنسيق حوادث الرواية ، ولا في ايجاد اللحمة المتينة بينها جيماً ، ولا في ترتيبها كلها الى الخاتمة دون انحراف وتطويل . يبدو ذلك بما تتحققه من التردّد والاضطراب في بعض الشخصيات الثنوية كشخصية أنشو مضحك الملكة ، وشخصية اولمبوس ، الطبيب الروماني ، وشخصيتي الوصيفتين شرميون وهيلانة ؛ وبما نشعر به من التنافر في بعض المشاهد كمشهد حابي وأنوبيس اذ ينصرفان عن الملكة المنتحرة الى الاهتمام ببعث وصيفتها هيلانة من الموت ، وما دافعهما سوى حبّ حابي لهيلانة ، فيضعفان تأثير انتحار الملكة ؛ ثم يشوّه العاشقان والكاهن ذاك المشهد الفخم بمحاورة اقلّ ما فيها انها خارجة عن الموضوع.

---

١) المشرق (٢٥ [١٩٢٧] ٦٢٤)

٢) مصرع كليوباترا ، تأليف احمد شوقي بك – مطبعة المعارف بمصر ، ١٩٢٩ – ١٥١ صفحة صغيرة .

٣) المشرق (٢٨ [١٩٣٠] ١٥٥)

على ان هذه الشوائب لا تمنع كون المؤلف برهن عن مقدرة وشعور بخلق الشخصيات المهمة في مأساته ، واتمام صفاتها بدقة واتقان ، فتعجبنا فيها شخصية كليوباترا المرأة الجميلة الواثقة بجمالها ، القوية الحجة ، الساحرة البيان ، والملكة الحازمة الادارة ، الساهرة على خير وطنها ، الفخور ببلادها ، والتي لا تخلو سياستها من تدبير ودها ، يقودانها حتى الرياء احياناً . فتنتبه واذا امامنا شخصية مزدوجة تروقنا وتمتلك انتباهنا بترددها بين دولة الهوى ، ودولة المجد ، بين انطونيو ومصر ، بين اللذة والواجب ، حتى تضحي بالاولى في سبيل الثاني ، بعد ان تكون ضحت بالكثير في سبيل الاولى ، وتختم حياتها بتضحية نفسها في سبيل الوطن ، « في سبيل التاج » ، كما يقول عنها انوبيس[1] .

وتكاد نرى الاتقان نفسه في شخصية انطونيو ، الجندي الشجاع ، المتمتع باللهو والملذات ، الذي طالما ضحى بالهوى في سبيل المجد ، حتى عرف كليوباترا فاصبح يضحي بالمجد في سبيل الهوى . على انه يختم حياته بالتضحية الكبرى بعد ان يصبح

كأنه بقيّة نصلٍ او رفات غضنفرِ[2]

فيناجي رومة نادماً مستغفراً ، ولكنه ينعي عليها قساوتها وانها حرمته من ترابها يواري فيه رفاته ، فيقول ، قبل ان ينتحر :

روما ! حنانك واغفري لفتاك ! اوّاه منك ، وآهٍ ما اقساك !
روما ، سلامٌ من طريدٍ شاردٍ في الأرض ، وطّنَ نفسه لهلاكِ .
اليوم يلقى الموتَ لم يحتفْ به ناعٍ ، ولا ضجّت عليه بواكي .
ان الذي اعطاكِ سلطانَ الثرى لم تُنعمي لرُفاته بثراكِ .
ان الذي بالاسِ زنتِ جبينه بالغار ، عفّتْ جهدَه وعصاكِ .
يا ربّ تاجٍ في جبينك زاهرٍ عطّلتْ منه مفارقَ الاملاكِ .
الامّهات قلوبهنّ رقيقةٌ ، ما بالُ قلبك لم يلن لفتاكِ ! [3]

---

١) مصرع كليوباترا : ص ١٠٦ ٢) ص ٥٨ ٣) ص ٥٦

واما من حيث القيمة الادبية ، او اسلوب الشعر وموافقته للمقتضيات المسرحية ، فنقول : ان للمؤلف فضلَ الاقدام ، لا على جعل روايته شعرًا صرفًا فاننا لم نعدم الروايات الشعرية قبلها[١] ، بل على تنويعه اوزان الشعر والقوافي ، وتلطفه بالانتقال من نوع الى آخر . وفي هذه التجربة ما فيها من تسهيل في التعبير عن العواطف ، ومن راحة للاذن بتعديد اساليب الايقاع الشعري ؛ فالشاعر ، من هذا القبيل ، جدير بكل ثناء . على ان شعر شوقي بك قد لا يوافق المقتضيات المسرحية كل الموافقة . وذلك لما في شخصيته من النزوع الى الشعر الغنائي — وهو امر تحققناه في شعراء العرب جميعهم — ولا سيما ما كان منه فسيح المجال يقرن الى سموّ العواطف المبالغة بالفخر والاشادة بذكر مواقع المجد والعزّ ، او المناجاة وما تتضمّن من شعور لطيف وأنفة معجبة . ونحن نتحقق ذلك اذا ما انتبهنا لما في الرواية من الشعر الرائع العالي يسمو خصوصاً في الخبر المورَّد للفخر ، كما في وصف كليوباترا لسياستها واعمالها في وقعة « اكتيوم » ، اذ تقول — ولا بأس بايراد كل كلامها ، وهو اقرب الى النوع الخطابي منه الى سرد الوقائع ، فضلًا عمّا فيه من جمال التصوير ودقة الوصف[٢] :

أيها السادةُ ، اسمعوا خبر الحرب ، وأمرَ القتال فيها ، وأمري ،
واقتحامي العُباب ، والبحرُ يَطغى ، والجواري به على الدَّم تجري ؛
بين أنطونيو وأكتافَ يومٌ عبقريٌّ يسيرُ في كل عصرِ ،
أخذتْ فيه كلٌّ ذات شراعٍ أُهْبَةَ الحرب ، واستعدتْ لشرّ ؛
لا ترى في المجال غيرَ سَبوحٍ مُقبلٍ ، مدبرٍ ، مبكرٍ ، مُفرّ ،
وترى الفُلكَ ، في مُطاردةِ الفلكِ ، كنسرٍ أراد شرًّا بنسرِ ،
وتخال الدُّخانَ في جَنَباتِ الجوّ ، جُنحًا من ظلمة الليل يَسري ،
ودويَّ الرياحِ ، في كل لُجّ ، هزجَ الرعدِ ، أو صياحَ الهِزَبْر ،
وترى الماء ، منه عودُ سريرٍ لغريقٍ ، ومنه أحناءُ قبر ؛

١) راجع ما قلناه بهذا الصدد في المشرق (٢٥[١٩٢٧]٦٣٤)
٢) ص ١٥ – ١٦

يغسلُ الجُرحَ شرُّ من غسل الجر ... حِ ، ويأسو من الحياة ، ويُبري .
كنتُ في مركبي ، وبين جنودي ... أزنُ الحربَ والأمورَ بفكري ،
قلت : روما تصدّعت ، فترى شطراً ... من القوم في عداوة شطر ،
بغلاها تقاسما الفُلكَ والجيـشَ ، ... وشبّا الوغى ببحرٍ وبرّ ،
واذا فرّق الرُّعاة اختلافٌ ، ... علّموا هاربَ الذئاب التجرّي .
فتأملتُ حالتيَّ مليّاً ، ... وتدبّرت أمرَ صحوي وسكري ،
وتبيّنتُ أن روما اذا زا ... لت عن البحر ، لم يسُد فيه غيري .
كنت في عاصف ، سالتُ شراعي ... منه ، فانسابتِ البوارجُ إثري ،
خاصت من رَحى القتال ، وعاً ... يلحق السُّفْن من دمار وأسر ؛
فنبيتُ الهوى ، ونُصرة أنطنيو ... سَ ، حتى غدرتُه شرَّ غدر .
علِمَ الله ، قد خذلتُ حبيبي ، ... وأبا صبيتي ، وعوني ، وذُخري ،
والذي ضيّع العروشَ ، وضحّى ... في سبيلي بألف قُطر وقُطر .
موقفٌ يُعجب الملا ، كنتُ فيه ... بنتَ مصر ، وكنتُ مالكةَ مصر .

ونرى النفس العالي ايضاً في مناجاة انطونيو لرومة قبل انتحاره ، التي اوردنا شيئاً منها قبيل هذا الكلام . وفي مناجاة كليوباترا للحياة قبل انتحارها ، وهي قطعة غنائية لطيفة بما يتخللها من حنان الملكة الامّ على بنيها الصغار حتى تودّ الحياة ذليلة من اجلهم ، فيدفع ذلك عنها واجب الموت في سبيل المجد والعزّ ، فتطيعه مضحّية بعواطف امومتها ، مكتفية بايراد هذه الصورة البديعة ، فتقول :[1]

بروحي ، وان لم تبقَ مني بقيّةٌ ، ... صغارٌ ورائي ذوّقُ اليُتمِ ، نُوّحُ
أذوبُ لبلواهم ، وأعلم انني ... حملت عليهم ما يجلّ ويفدحُ ؛
وقد اشتهي عيش الذليل لأجلهم ، ... فلا المجد يرضى لي ، ولا النبلُ يسمحُ .
نصحتاً صغاري ، إن شقيتم بمصرعي ، ... واني لارجو أن تنضّوا وتصفحوا !
وداعاً صغاري ! صيّر الله يُتمكم ... الى خير ما يكفي اليتامى ويُصلحُ !
أطفت بكم ، والنومُ تسري سناته ... على صفحات كالاهلّة تلمحُ ،

(١) ص ٩٨

وما منكمُ في الحزّ إلّا حمامةٌ عليها طليلٌ ناعمُ الفرع، أفيحُ،
تنام، وما تدري الكرى ما وراءه، ولا الصبح في ظلّ الرُبا كيف يصبحُ،
أتغدو على الدنيا، كأمس، طليقةً ضحى اليومِ، أم يُغدى عليها فتذبحُ؟

حتى اذا قامت بواجب الوداع، وخلعت عنها بقيّة حنانها، اندفعت تدرس حالتها، وترن مآتيها السابقة، وتقابل بينها وبين الحياة، فتصحو من لهوها ولعبها الى ما يأمرها به الواجب من الموت مخافةَ أن تُدخل،

في ثياب الذلّ، روما (وتُعرض) كالسبيِ على الرجال[1]

ومن القطع الغنائية الرائعة جواب كليوباترا لاوكتاڤيوس، عندما اقبل ليقبض على انطونيو في قصرها، فرآه ميتاً، فقال هازئاً[2]:

كلوباترةُ، لا تخشيْ فان آخذَه منكِ.

فاجابت:

أبي تهزأُ؟ ام بالميتِ؟ امْ بالموقفِ الضنكِ؟
ان أسعدتَ، على ما لك من بطشٍ ومن فتكِ،
وما حولك من خيلٍ، وما تحتك من فلكِ،
فخذه من يد الموتِ، ومن عاجزةٍ تبكي!

وكذلك انتهارها في الموقف نفسه احد جنود اوكتاڤيوس، وكان قد دنا ليكشف القناع عن جثة انطونيوس ويتحقق موته، فصاحت به:

مكانكَ، يا عبدُ، لا تمتكنَّ على سيّد المالكين، القناعْ.
تريد لتكشف عنه الغطاءَ، عسى تحته حيلةٌ او خداعْ!
عيشت به، وهو تحت الطيالس، ملقى السلاح، قليل الدفاعْ،
ولم تغتشم بقعاً من دمٍ عليهنّ تحمد مصرَ البقاعْ.
رويدك! ما الموت مستبعدٌ، ولا هو مستغربٌ من شجاعْ.
وان التماوت فعلُ الثعالب؛ ليس التموت فعل السباعْ!

---

١) ص ١٠٢ ٢) ص ٨٠

اما المحاورة وما اليها مما لا يدخل فيه الاسلوب الغنائي ولا يتسع مجاله للعواطف، فليس فيه لشاعرية شوقي بك حظٌ كبير. ونحن اذا استثنينا محاورة انطونيوس واوروس، في الفصل الثالث، يمكننا الاجماع ان المحاورات في الرواية ضعيفة باردة. حتى محاورة انطونيوس واوروس نفسها فانها لا تستمدّ جمالها الّا مما فيها من الميل للاسلوب الانشائي الغنائي.

فاذا تقرّر هذا، واذا اضفنا اليه ما تحققناه مرارًا من ان الشعر العربي مبني في طبيعته على التأثير والعاطفة، وان الشاعر العربي مؤثر قبل كل شيء، راغب في التملّك على القلوب بالانفعال[1]، وان الشاعر العصري يميل بجميع الانواع الى الفنّ الغنائي فيحوّلها الى قصائد عاطفية؛ اذا فهمنا ذلك، امكننا القول ان شوقي بك قام في «مصرع كليوپاترا»، بتجربة ممدوحة في الشعر التمثيلي؛ ولكننا لا نطمئنّ الى الأمل بتقدّم هذا الفنّ، الشعري الصرف، في مستقبل قريب، لأنه لم يصل بعد لدرجة توافق وضعية الشعر العربي التقليدية، او لأن هذا الشعر لم يصل بعد لدرجة من المطاوعة توافق ماهية الفنّ المسرحي. بل نرانا مضطرين الى ان نعيد اليوم ما قلناه سابقًا، من ان النوع المختلط، اي تأليف الروايات نثرية شعرية، لعلّه افضل في لغتنا، لاختصاص الشعر بالانشاء اكثر منه بالخبر، فتعرض الفصول الاعتيادية نثرًا حتى اذا اشتدّ التأثير، وحرج الموقف، وهاج الشعور، تدفّقت العواطف شعرًا.

(للبحث صلة)

---

1) راجع الروائع ٢: ١٦ — ٢٠

الروايات التاريخية

في الادب العصري

للاستاذ اغناطيوس كراتشقوفسكي

طالع قراؤنا دروس المستشرق جيب على المنفلوطي (المشرق ٢٧ [١٩٢٩] ٦٨٤) وعلى طه حسين(١ (المشرق ٢٨ [١٩٣٠] ٢٥٩) وها انّا ندعوهم اليوم الى سماع الاستاذ كراتشقوفسكي المستشرق الروسي المعروف . قضى عامين في الشرق ، وتعرّف الى اعظم ممثّلي الادب في سورية ومصر ، وانشأ في بيروت سنة ١٩٠٩ مقالاً في الروايات التاريخية العصرية اخذه اساساً لما نشره فيما بعد في اوربة في هذا الموضوع . ووراقت دروسه المستشرقين زملاءه ، فاستأذنه احدهم وهو كامبفماير ، صاحب مجلة الجمعية الالمانية للمعارف الاسلامية ، في تدوين درسه في مجلته . فاذن له كراتشقوفسكي بعد ان اعاد النظر في ما كتبه منذ عشرين عاماً ، ونقّحه وزاد عليه . وهذا اول ما ظهر عند الافرنج في هذا الصدد ، وقد يكون تكملة لكتاب تاريخ الآداب العربية للاب شيخو ، وفيه من النظرات والفوائد ما هو جدير بالاعتبار . لخصناه لمن لا يتاح لهم ان يطالعوا اصله من القراء (٢١ : ١ ، ٢ ؛ ص ٥١ وما بعدها) : ف . ت .

افتتح الاستاذ كراتشقوفسكي مقاله في الكلام على الادب الحيّ والادب الميت . فالادب الحيّ لا ينفك عن النمو وعن العمل ، وله مفاعيله في حياة العصر الفكرية والاجتماعية . اما الادب الميت فهو الذي وقف عن النموّ وجفّت اغصانه وليس له الّا الأثر التاريخي . وتناول الكلام في الادب العربي ، فيما قبل الاسلام الى العصر الخامس عشر الميلادي ، فقال ان زمانه مضى وزال تأثيره في الحياة الفكرية البشرية الحالية مع انه كان ايام عزه ، في القرون الوسطى ، لسان حال الامة العربية ، وموردا استقى منه الافرنج . واطلق عليه العبارة التي قالها احد المستشرقين في علم الفقه في الجزائر ان قيمته هي اثرية محضة . وتدارك

---

١) نشرت مجلة الحديث الحلبية المقال بحرفه عن المشرق ، ولم تذكر المصادر ، فبخست الادب حقه .

كراتشقوفسكي معارضة من يخاصمه على المغالاة في الكلام فقال : ولعله يأتي بعدنا جيل يتقصى آثار الادب القديم وتأثيره اكثر مما فعلنا فيكشف على ما لم نقف عليه . وحصر درسه في الروايات الادبية التاريخية . فضرب صفحاً عن كتاب كليلة ودمنة وكتاب الف ليلة وليلة، وكلاهما خارجان عن دائرة المؤلفات العربية الاصيلة ومادتها مأخوذة من العنصر الآري او الغير السامي.

واتى على ذكر الروايات التاريخية العربية المحضة كايام العرب ، وسيرة عنتر ، وقصة بني هلال ، وسيرة سيف ذي يزن ، وسيف التيجان ، وسيرة بيبرس ، وقال انها نالت سهمها من النفوذ في عصرها ، وعلمت الافرنج اموراً ساعدتهم على وضع نظام الفروسية الغربي ، وعلى تدوين قصصها البطلية. ثم غاض ماؤها وجف عودها فيبست وماتت ... ومضت قرون ثم ظهر في الادب العربي غرسة جديدة ، واينعت لانها نمت في تربة اوربية ، تلك الغرسة انما هي الروايات العصرية الحديثة.

اخذت مادتها من المؤلفات الافرنسية والانكليزية خاصة . ومن الالمانية بواسطة ما ترجم منها الى اللغتين السابقتين . وكان ناصيف اليازجي وبطرس البستاني اعظم من ساعد على نشأتها الجديدة في اواخر النصف الاول من القرن التاسع عشر وهما دعامة النهضة الحديثة . لم يعملا مباشرة في الدائرة التي حصرنا فيها مقالنا ، ولم يصرفا همهما الى التأليف الادبي الجميل (*Belletristik*) المميز القرن التاسع عشر ، بل حصرا جهودهما في درس مؤلفات القرون الوسطى وفيها افرغا كنانتهما فكان لهما نفوذ عظيم ...

ومنذ ثمانين سنة دبت الحركة في الاقلام فدفعتها الى التحبير والتعريب . وعقب التعريب مؤلفات كانت تنم عن تقليد دوماس وفيكتور هوجو ووالتر سكوت . وبرزت الروايات التمثيلية للوجود وفي مقدمة كتبة ذلك العهد اديب اسحاق ، وخليل اليازجي ، ونجيب حداد ، حفيد ناصيف اليازجي . اخذ نجيب رواياته عن الافرنج فتعلم عليهم ومضى في سبيله ، ومؤلفاته الروائية والشعرية خاصة لا تزال موضوعاً لاعجاب الناس في يومنا .

ومن البديهي ان جهود هؤلاء الكتبة في الروايات التمثيلية ساعدت على

حركة تأليف الروايات التاريخية. فنشرت مجلة المشرق رواياتها ، وهي عنوان لما يمكن ان يستقصه الكاتب من حوادث تاريخ الشرق لسرد الاخبار الروائية. ولم يبلغ الاميركان في هذا الصدد الشأو التي بلغت اليه كلية اليسوعيين . ولم يحلوا المكانة اللائقة بهمتهم ، بل حصروا جهدهم في تعريب بعض الروايات الغربية ، والتصرف به فيما يعود بالمذمة على الكاثوليك وسواهم من الغير البروتستانت.

فسبق الافرنسيون الاميركان في ذلك المضار ، ومما يشهد على نجاحهم ، ان اول من وضع رواية تاريخية في اللغة العربية كان من تلامذتهم ، وهو جميل نخله المدوّر. ولد في بيروت ، وتخرج على الآباء اليسوعيين ، وطبع في القاهرة سنة ١٨٨٨ كتابه « حضارة الاسلام في دار السلام . » ولم يكن الكتاب رواية في حصر المعنى ، اي انه ليس فيه عقدة ولا سعاية ، بل هو سلسلة رسائل صادرة من رجل من رجالات الحكم في القرن الثاني الهجري على ايام الرشيد ومعاصريه . فاحيا المؤلف ذكر ذلك العصر ورجاله واخلاقه ولم يشطّ عن الحقيقة التاريخية ، فحط كتابه محطةً في تاريخ الادب الروائي العربي. وتوفي المدوَّر شاباً ولم ينشر سائر مؤلفاته .

وخص كراتشقوفسكي جرجي زيدان بصفحات عدة. زيدان « ابو الروايات التاريخية » ولد في بيروت ، ودخل خادماً ودارساً في الجامعة الاميركية ، وكدّ وجهد ولم تمض عشر سنوات على خروجه من معهد التعليم الا وقد حاز شهرةً واسعة في عالم الصحافة والرياضيات والروايات . ومن مؤلفاته : الالفاظ العربية والفلسفة اللغوية — انساب العرب القدماء — البلغة في اصول اللغة — تاريخ اللغة العربية — تاريخ مصر الجديد — تاريخ انكلترة — التاريخ العام . . . في السنة ١٩٠٢ اظهر كتابيه في « تراجم مشاهير الشرق في القرن التاسع عشر » اخذاً عن « الهلال » مجلته ، وباشر طبع « تاريخ التمدن الاسلامي » بخمسة اجزاء . فالتفت اليه من عني بالآداب العربية من الافرنج ، ونقل الاستاذ مرغوليوث الى الانكليزية السفر الرابع من ذلك المؤلف وضمه في مجموعة جيب الشهيرة . وعسير بتُّ الحكم في هل اخطأ الاستاذ مرغوليوث في عمله ام اصاب. ولكن لا مناص من القول ان تاريخ زيدان مبني عن تصميم

وأساس جامع لشتى المواد . ومفيد ليس فقط لعامة القراء العرب ، ولهم فيه غنى عن مؤلفات كرنكو وغولدسيهر ، بل للعالم الاوربي ايضاً.

وذكر كراتشقوفسكي كتاب تاريخ الآداب العربية والمناهل التي استقى منها زيدان ونقد الناقدين عليه ، ونوه بمجلة الهلال ومعظم مقالاتها من قلمه مما يدل على طول باعه وقال : وقد يُلام زيدان على بعض التسطح ، وعلى قلة التعمق في المواضيع ، واوليات مؤلفاته تنم عن نقص في معرفة الآداب العربية الاسلامية بكمالها . ولكن مكانته على الاجمال عالية بفضل جهاده وثباته على العمل ، وقد نال تلك المكانة ليس فقط في الادب ولكن في درس احوال العالم العربي العصري ، فتعلمها وعلمها . وكان الادباء على ايامه يتبارون في ميدانٍ ضيقوا فيه على القرَّاء بين انيق النثر وناعم الشعر . فاعرض زيدان عنهم وبرهن بعمله ان المشاكل التاريخية والعمرانية الكبرى تلفت نظر القرَّاء وتسرهم اجمعين . ورمى الى اغراض شتى فطوراً اخطأ ، وطوراً اصاب ، وصار هدفاً لنقد الصحافة والمجلات العربية.

وتوسع كراتشقوفسكي في الكلام على زيدان المؤرخ الروائي وقسم رواياته قسمين الاول يشمل : استبداد المماليك ، والمملوك الشارد ، واسير المهدي ، وليس لها بينها صلة حقيقية . اما الثاني فحلقاته مرتبطة متواصلة بالموضوع والزمان والمكان اي منذ مستهل الهجرة الى ايام الفتوح : فتاة غسان ، ارمانوسة المصرية الخ . بهذه الروايات نال زيدان شهرة واسعة . فحذا حذوه محررو الجرائد السيارة كعبد المسيح الانطاكي الحلبي الاصل مدير العمران (١٩٠٣) ، المتوفى سنة ١٩١٧ . ونُقل الى الفارسية والهندستانية والانكليزية والافرنسية والروسية حلقاتٍ وسلسلة منها.

النقد الادبي يتناول زيدان من الوجهتين التاريخية والفنية . وانه اختار من التاريخ المواضيع العصية التي يتولد منها احتكاك المصالح وحدوث الحوادث التي تنجلي فيها اخلاق الاشخاص سواء اكان ذلك في بلاد الاندلس ، او على ايام بني امية ومشاحناتهم مع اهل الشيعة ، او على عهد دخول الاتراك في الدولة العربية . لقد ادى التاريخ الاسلامي مادةً وافرة لفولتير ولامارتين وغوطه وغيرهم

في تأليف رواياتهم التمثيلية . ولا سبيل الى نقد زيدان لاتخاذه دعائم رواياته من ذلك التاريخ . على ان القسم الاول هو دون الثاني قيمةً تاريخية ، وعلة ذلك ان المؤلف لم يكن قد ادرك الخبرة التي رقي اليها فيما بعد ، فضلاً عن ان وقائع الروايات الاولى كانت اقرب عهداً اليه من ان يوفق في النظر اليها عن البعد الزمني الذي لا بد منه للالمام بالحوادث والاشخاص وانتخاب ما يصلح منها للرواية . وامتازت سلسلة زيدان الثانية بمطابقة قشورها لبها ، وصورتها مادتها ، وانشائها معانيها .

اما زيدان الروائي الفني فاول ما يقال فيه ان رواياته مرآة الواقع بما فيها من صورة حياة الناس . تلك الصورة قد ابرزها المتهتكون من الكتبة بما فيها من جميل او شنيع . اما زيدان فتحاشى عن العار وستر الشنار ، فاستحق الثناء . كشف على اطراف الحادثة كثيراً ، واهتم بتحليل اخلاق اشخاصه قليلاً . ولم يُسمع عن اقوالهم وصناعتهم ابعد من الحدود التي احتدّها في الزمان والمكان المسرحاً للرواية . ان الكاتب ابن الفن هو من له قوة المخيلة والشعور . وهذه مقوة لتبرز في الاشخاص الذين يمثلون ادوارهم في رواياته . وفي وصف الطبيعة ومحاكاتها . اما ابطال زيدان فاقرب اقوالاً وعواطف الى رجالات التاريخ الصحيح منهم الى مبتدعات الشعراء والمتفنين . واما صورته للطبيعة فهيفاء شاحبة ، وجماله الفني بعيد الخيال . على ان ذلك النقص ليبدو خاصة في اوليات مؤلفاته ، والخبرة مع الزمان خففت من وطأتها . ولا عجب ان ينال التاريخ حظه الاوفر من الروايات وهو الميدان الواسع الذي جال فيه زيدان بقلمه . ومما يذكر له بالفضل انه عالج المواضيع الاسلامية ، ولم يمسّ المسلمين بعواطفهم . وظهوره في الادب العربي العصري رفع منزلة الادب الروائي الى مستوى الادب الحي .

وتكلم كراتشقوفسكي عن فرح انطون ، ويعقوب صروف ، وخليل خياط ، وامين ظاهر خيرالله ، وخليل بك سعاده ، وابدى فيهم رأيه . . . ونوه بالمجادلة التي حدثت بين المستشرقين منذ ثمانين سنة حول الروايات التاريخية . وختم بعبارة الامل في حسن مستقبل الروايات التاريخية العربية وما يرجى لها من الازدهار بفضل النهضة الادبية العصرية .

شذرات

الحياة العقلية في قبرص

نشرت مجلة آسية الفرنسوية[1] مقالاً ممتعاً لنويل ڤارمون (Noël Varmond) في جزيرة قبرص وحالتها الحاضرة ، رأينا ان نلخص منه ما يفيد حركة الحياة العقلية في تلك الجزيرة :

يبلغ سكان قبرص ٣٤٣,٥٣٠ منهم ٢٧٤,١٨٠ من اليونان الارثوذكس ، و ٦٤,١٨٠ من المسلمين ، و ٢,٥٤٠ من الارمن الغريغوريين ، و ١٦٢٠ مارونياً و ١٠١٠ من طائفة اللاتين . وتتجلى الحياة العقلية في التعليم ، والصحافة ، وسائر المظاهر الادبية .

اما التعليم فظاهره المدارس الابتدائية ، للصبيان والبنات ، المنتشرة في في جميع قرى الجزيرة . ثم المدارس الثنوية ، وعدد اليونانية منها تسع في مدن نيكوزية ، ولرناكا ، وفاماغوست ، ويافوس ، وليماسول ، وكيرينيا ، ومُرفو ، ولفكارا ، وريزوكرپاسو . ولليونان ايضاً مدرسة اكليريكية في لرناكا ، ومدرسة تجارية في ليثو . ولكن في هذه المدارس جميعها آفة واحدة مؤثرة وهي ادخال السياسة في التعليم . وللمسلمين مدرسة في نيكوزية ، واخرى ابتدائية في لرناكا . وفي لرناكا ايضاً مدرسة انكليزية ، واخرى اميركانية يديرها المرسلون الميتوديون الذين يزاحمون بمدرستيهم للبنات ، في لرناكا ونيكوزية ، مدارس الراهبات الفرنسويات .

اما الكاثوليك فلهم مدرسة « الارض المقدسة » في نيكوزية بادارة الآباء الفرنسيسكان . ومدرسة للبنات في ليماسول يديرها راهبات الفرنسيسكان الايطاليات . ولراهبات القديس يوسف الفرنسويات مدرستان في لرناكا ونيكوزية فيهما ١٨ راهبة يدرّسن نحو ٣٠٠ فتاة من مختلف الطوائف . وجميع المعاهد

(١) L'Asie française, Août-Sept. 1930, p. 259-268

الكاثوليكية تشتكي من قلة المساعدة التي اجبرت مرسلينا على اقفال غير ما ذكرنا من المدارس ، التي كانوا يديرونها خصوصاً في لرناكا ولياسول . واذا انهى شباب قبرص دروسهم في الجزيرة هاجروا لاتمامها في معاهد اليونان خصوصاً ، وقليل منهم يذهبون الى انكلترة او الى فرنسة ؛ وافراد قلائل يتجهون نحو المانية او سويسرة او النمسة .

يظهر في الجزيرة ٢٥ جريدة منها ١٩ باللغة اليونانية ، و ٣ باللغة التركية ، و ٣ باللغة الارمنية . ويأتيها عدد من الجرائد الخارجية اكثرها يونانية ، ثم بعض الجرائد الانكليزية كالتيمس والدايلي مايل ، وقليل من الجرائد الفرنسوية منها الطان ، والجورنال دي دبا ، والانوستراسيون . وكذلك يدخلها بضعة اعداد من جريدة البشير .

اما الادب فلا يكاد يُشعر بوجوده لولا بعض القصائد وبعض الابحاث الاثرية . وليس للكتب الاجنبية من رواج ، لان القبرسي اذا تكلم كثيراً فهو يطالع قليلاً . واذا طالع فلا يروقه الّا الروايات الخيالية والبوليسية خاصة . واما المحاضرات فنادرة الّا ما كان منها متعلقاً بالسياسة . وكذلك الاقبال قليل على دور التمثيل ، وهي قليلة وفي غاية الانحطاط الا في نيكوزية . ويكتفي القبرسيون بحضور السينما ، ولها ردهتان في كل من نيكوزية ، ولركانا ، ولياسول . واكثر رغبتهم في الافلام الخيالية التي تكثر فيها الوقائع والمعارك .

اهتداء خطير الى الكثلكة

اهتدى الدكتور سلدن دي لاني ، احد مشاهير الشيعة الاسقفية البروتستانية ، الى الديانة الكاثوليكية . فأحدث اهتداؤه ضجة في الولايات المتحدة لما هو عليه من الصفات الممتازة ، ولما كان له من تأثير في شيعته ، اذ كان راعياً في كنيسة « القديسة مريم العذراء » في نيويورك . كان قبل اهتدائه قد ادخل على رعيته بعض العبادات والعقائد الخاصة بالكنيسة الكاثوليكية وحدها كالاعتراف بعقيدة الحبل بلا دنس ، والعبادة لقلب يسوع الاقدس . وما زال يظهر التقربَ الى الكثلكة ، مدافعاً عنها في كل فرصة كما جاهر بدفاعه عن كاثوليك المكسيك عندما اضطهدتهم حكومة القائد كايس ، حتى اعلن اهتداءه

الى الحقّ وانضامه نهائياً الى الكنيسة الكاثوليكية . وقد استقال من منصبه بكتاب لطيف ، ثم غادر نيويورك الى موضع لم يخبر احداً عنه. لكن صحافة نيويورك التي كان يهمّها اخذ بعض التصريحات من فمه ، سعت الى معرفة مقرّه واهتدت اليه في ولاية ايسلاند ، في دير لرهبان القديس مبارك في مدينة « باريوث » . فتمكن مراسل « ذي ورد » ، بعد محاولات كثيرة ، ان يحصل منه على التصريح التالي :

« كان هناك عاملان اثّرا جوهرياً في تغيير معتقدي : الاول مخالفة رأيي للكنيسة الاسقفية الاميركية التي تنزع وتميل الى الاتحاد مع باقي الشيع البروتستانية ، والثاني ازدياد اعتقادي في حقيقة تعاليم الكنيسة الكاثوليكية التقليدية ، يوماً بعد يوم . لقد درست تاريخ الكنيسة الاولى واقتنعت بصحة الخلافة الرسولية وسيادة اسقف رومية على الكنيسة كلها. ان الانكليكانية تعترف بوجود درجة الاسقفية ، ولكنها تنكر ولاية الحبر الاعظم. وهذا غير ممكن ، بل لا يمكن فهمه . وليس انفصالي عن الكنيسة الاسقفية ناشئاً عن اسباب ومشاكل طقسية وحفلات خارجية . واني سأذهب الى رومية ، لاني اسلم واعتقد بسلطة الكنيسة الكاثوليكية. »

وقد سافر الدكتور دي لاني الى اوربة لزيارة معابدها ، ولا سيا ضريح القديسة « ترازيا الطفل يسوع »

احصائيات مصرية

وصلنا مؤخراً الاحصاء السنوي العام في المملكة المصرية لسنة ١٩٢٨ — ١٩٢٩ ، باللغتين العربية والفرنساوية ، وهو مثال الترتيب والاتقان يجدر بحكومات الشرق جميعها ان تقتدي به . وقد رأينا ان نستفيد منه معلومات قد تهمّ قراءنا الكرام عن عدد السكان في القطر المصري ، وانواع دياناتهم ، وتبعاتهم ، وعدد المتعلمين فيهم ، نبدأ ذلك بجدول يبيّن تزايد عددهم منذ السنة ١٨٠٠ الى السنة ١٩٢٧ وفيها صار الاحصاء الاخير :

السنة	العدد	
١٨٠٠	٢,٤٦٠,٢٠٠	حسب التقدير على عهد الحملة الفرنساوية
١٨٢١	٢,٥٣٦,٤٠٠	حسب التقدير بواسطة كشف المموّلين (المكلفين)
١٨٤٦	٤,٤٧٦,٤٤٠	حسب التقدير بواسطة تعداد المساكن
١٨٧٣	٥,٢٥٠,٠٠٠	حسب التعداد الرسمي
١٨٨٢	٦,٨٣١,١٣١	〃 〃 〃
١٨٩٧	٩,٧٣٤,٤٠٥	〃 〃 〃
١٩٠٧	١١,٢٨٧,٣٥٩	〃 〃 〃
١٩١٧	١٢,٧٥٠,٩١٨	〃 〃 〃
١٩٢٧	١٤,٢١٣,٣٦٤	〃 〃 〃

وفي هذا العدد الاخير ٧,٠٥٨,٠٧٣ من الذكور ، و ٧,١١٩,٧٩١ من الاناث ، ما عدا عرب البادية.

وهذا ترتيبهم حسب الديانات والجنسيات

مسلمون	١٢,٩٢٩,٢٦٠	رعايا الحكومة المصرية	١٣,٩٥٢,٢٦٤
مسيحيون: اقباط	٩٤٦,٣٩٣	〃 〃 البريطانية	٣٤,١٦٩
مسيحيون: غير اقباط	٢٣٥,٥١٧	〃 〃 الفرنسوية	١٤,٣٣٢
اسرائيليون	٦٣,٥٥٠	〃 〃 الايطالية	٥٢,٤٦٢
طوائف اخرى	٣,١٤٤	〃 〃 التركية	٩,٢٨٤

اما عدد اللبنانيين والسوريين والفلسطينيين (دون تمييز في الاصل) فيبلغ ٣٩٦٠٥ منهم ٣٠,٩٢٣ من رعايا الحكومة المصرية ، و ١٨٠١ من رعايا فرنسة ، و ١٦٥ من رعايا تركية . والباقون محتفظون بتبعة وطنهم الاصلي.

وفي جميع انحاء القطر المصري ١,٦٧٠,٨٩٣ شخصاً فقط يلمّون بالقراءة والكتابة ، او ما يعادل ١٧٧ شخصاً بالالف.

مطبوعات شرقية جديدة

J. B. Coulbeaux, *Missionn. lazariste* : Histoire politique et religieuse de l'Abyssinie depuis les temps les plus reculés jusqu'à l'avénement de Ménélik II. 3 *vol. in-8°* 1929. *Prix* : 100 *f*. *Paris, Geuthner.*

تاريخ بلاد الحبش السياسي والديني ، من اقدم العصور الى منليك الثاني

عاش المؤلف في بلاد الحبش مدة ثلاثين سنة ؛ وتوفي سنة ١٩٢١ ، تاركاً بين مخطوطاته هذا التاريخ الواسع الذي طبع موخراً . وان من يقدر معرفة المؤلف تلك البلاد ولهجاتها ، واطلاعه الواسع على عادات السكان ومظاهر مدنيتهم الخالصة ، يدرك ما لهذا التاريخ النفيس من قيمة عظيمة ، وما سيكون له من تأثير بليغ في جميع ما يكتب عن الحبشة حتى مستقبل بعيد. ج. ل.

H. Lusseau : Essai sur la nature de l'inspiration scripturaire. *in-8°*, 242 *pp. Prix* : 40 *f*. *Paris, Geuthner.*

بحث في طبيعة الوحي في الكتاب المقدس

هي أطروحة طرحها المؤلف وناضل عنها في ٢٢ تشرين الثاني ١٩٢٨ ، امام لجنة الكتاب المقدس ، فنال بها لقب « دكتور في الآداب الكتابية » . وقد قسمها الى قسمين : درس ، في الاول ، الموضوعات التي تختصر عقيدة الكنيسة في الوحي . وشرح ، في الثاني ، تعابير فلسفة القديس توما في الموضوع ، وتطرق الى درس العلاقات بين الوحي وعقل الكاتب ، ومواهبه الكتابية ، وارادته للكتابة . ثم ختم مبيّناً ان الوحي ، كما حدّده وشرحه ، لا يظهر محققاً كل التحقيق الّا في عقيدة الكنيسة الكاثوليكية .

Litterae Orientales. *Heft* 44, *Oktober* 1930. *Harrassowitz, Leipzig.*

الآداب الشرقية

تنشر مكتبة أوتوهراسوفيتز في ليبسيك ، تحت هذا العنوان ، نشرات

دورية تذكر فيها ما يجدّ من المؤلفات الشرقية مع بعض المعلومات عنها ، ومنتخبات من بعضها . وقد لاحظنا في النشرة الحاضرة بحثاً لدوستويوسكي في ما نُشر من المؤلفات الحديثة باللغة الروسية في المواضيع الشرقية والاستشراق.

P. Mainage O. P.: Le Bouddhisme. [*Biblioth. Cath. des sciences religieuses*] *Paris, Bloud et Gay.*

البوذيّة

اننا نستقبل بكل ارتياح هذا الكتاب الصغير الذي يلقي نظرة شاملة على تاريخ البوذيّة العام ، منذ نشأتها الى القرن التاسع عشر. ومما يستحق الذكر ان المؤلف اهتمّ اهتماماً خاصاً باظهار الاسباب التاريخية لتطوّر البوذيّة في كل من الاقاليم التي توسّعت فيها كالهند ، وبلاد الشرق الاقصى ، ويذيّل ذلك بعدد من المآخذ تفيد من يرغب في مزيد الاطّلاع . فيظهر ان البوذية بعد ان استقلّت مدة قليلة بشخصيتها الاصلية ، تطوّرت سريعاً بسبب ما فيها من قابلية التحوّل ، حتى تعدّدت فيها المذاهب فبعدت عن صفاتها الاولية . وهو ما بينه المؤلف بكل وضوح. ج. ل.

R. Chélard: Responsabilité de la Hongrie dans la guerre mondiale. Souvenirs personnels et documents inédits. *in*-8°, 192 *pp. Prix : 30 fs. Paris, Editions Bossard.*

مسؤولية هنغارية في الحرب الكونية

لا يمكن القول ان المؤلف يجهل هنغارية ، وقد خصّ بها ، قبل الحرب عدّة مؤلفات . ثم عاد اليها ، فاقام فيها سبع سنوات ملحقاً تجارياً بالسفارة الفرنسوية . ولكننا لا نعلم ما لحق به من المساوئ وما قاساه من المماكسات في تلك البلاد ، فان في تذكاراته روحاً عدائياً شديداً . اما التاريخ نفسه فهو عبارة عن سرد حوادث الشعب المجري منذ دخوله اوربة الى اليوم ، بلهجة شديدة فيها كثير من التحزّب والتطرّف. ج. ل.

J. Carcopino : Virgile et le mystère de la IVe églogue. *Paris. L'artisan du livre*, 1930.

فرجيل وسرّ الانشودة الرابعة من رعائياته

لا يخفى ان في الانشودة الرابعة من رعائيات (*églogues*) فرجيل ذكر غلام عجيب ، يجعل الشاعر ميلاده على عهد قنصلية پوليون ، ثم يذكر له مصيرًا غريبًا يتصل بنهضة جديدة يعود فيها العصر الذهبي والسلام العالمي الشامل . وقد تباينت آراء العلماء في ماهية هذا الغلام ، وفي المصادر التي استقى منها الشاعر ما يصوّره في انشودته ، فذهب بعضهم الى ان هذا المولود العجيب هو المسيح ، وان فرجيل عرف شيئًا عنه بواسطة التكهنات السيبليّة ، وقال غيرهم كنوردن (Norden) وبول (Boll) ، وهم من العلماء المعاصرين : بل هو احد امراء مصر ممن اطلع الشاعر على مصيرهم مشروحًا في ما عُرف من طقوس الاسكندرية السريّة التي تبشر بعودة العصر الذهبي . اما الاستاذ كَركوپينو فيعرض حلًّا لهذا المشكل يقرن بين المحافظة على ما ثبت من التقاليد ، واعمال النقد العلمي الدقيق . فهو يرى ان الانشودة « قطعة قنصلية » كما برهن نوردن ، كتبها الشاعر عند ارتقاء پوليون الى هذه الرتبة السامية . اما الغلام العجيب فهو ولد پوليون المذكور . ثم يدقق الاستاذ كَركوپينو في مختلف المعلومات التاريخية فيبيّن ان هذا الغلام ، المولود في آخر السنة ٤٠ قبل المسيح ، هو المدعو سالونينوس الذي يشير اسمه الى حكم ابيه على سالون من بلاد دلماسية ، وهو امر يوافق ذاك الوقت . واما السلام العالمي الشامل فهو ما كان يتوقعه الجميع حين ذاك من الأمن والسلام على اثر مصالحة برندس (Brindes) . بقيت تلك اللهجة النبوية السائدة في الانشودة والتبشير بعصر ذهبي وبرجوع العذراء ، ويشرحها الاستاذ بقوله ان كل ذلك مأخوذ من العقائد الفيثاغورية التي تجدّدت وانتشرت انتشارًا واسعًا بين ادباء رومة عندما وصل اليها فرجيل . وهكذا يشرح الاستاذ كركوپينو بوضوح كلي ومقدرة فائقة موضوع الانشودة وما يتصل به من الدقائق المعنوية . مما يحملنا على القول ان الكتاب يحدث أثرًا حسنًا في عالم الابحاث اللاتينية .

د. موترد

M. Viller S. J. : La spiritualité des premiers siècles chrétiens. [*Biblioth. Cath. des sciences religieuses*] *Paris, Bloud et Gay.*

الروحانية في عصور المسيحية الاولى

لا تؤلف التصانيف الروحية نوعاً خاصاً في العصور الاولى للنصرانية بل هي لا تظهر على حدة من بين سائر المؤلفات الدينية الا في القرن الرابع، بعد ان ازدهرت الحياة النسكية ، وميّز الفرق بين الحياة حسب الوصايا والحياة حسب النصائح . ولهذا رأى المؤلف ان يتبع الترتيب التاريخي ، فتكلم اولاً عن الانجيل وسائر اقسام العهد الجديد ، ثم عن الاستشهاد ، فعن حياة البتولية ، فالتنسك الشرقي والغربي. ثم عن مشاهير الروحانيين من الآباء اليونان في القرنين الخامس والسادس كالقديس اغوسطينوس والقديس غريغوريوس الكبير ، واخيراً تكلم عن القداسة خارج الحياة النسكية . وختم بفصل في العبادات الخاصة .

Jean Bayet : La Sicile grecque. [*Le monde hellénique.*] *Paris, société d'édition « Les Belles Lettres ».* 1930.

صقلّية اليونانية

بعد ان يصف المؤلف الجزيرة وصفاً مختصراً ، يبدأ في الفصل الاول فيذكر بكل تدقيق عدد المدن والقرى التي انشأتها الشعوب اليونانية المختلفة على شواطئ صقلّية منذ القرن الثامن الى السادس قبل المسيح . فيقول ان اول هذه الشعوب كان الشعب الخلقيدوني ، وهو اشدّهم جرأة ، فقطع افراده مضيق مسّينا ، وانشأوا المدن في شمالي شرقي الجزيرة ، ثم على شاطئ ايطالية ، ثم في شمالي الجزيرة . فاصبحوا المسيطرين على المنافذ التجارية حتى فكروا بجعل البحر التيريني بحراً خلقيدونياً . وفي العصر نفسه ، اي في القرن الثامن ، قدم بعض الكورنثيين فنزلوا على ضفة نهر انابوس ، واسسوا مدينة سيراقوسة . وفي القرن السابع اقبل الدوريون ، من اهالي رودس واقريطش ، فاحتلوا جنوبي الجزيرة وانشأوا فيها محطّاتهم . واخيراً وصل الميغوريون فاتجهوا الى غربي الجزيرة حيث اسسوا سلينونت ، وساروا منها الى الجهات البعيدة على بحر افريقية . وفي هذا الفصل خارطة حسنة تساعد المطالع على توقيع الاعلام

المكانية المذكورة.

ثم انصرف صاحب الكتاب الى ذكر الحروب والمناوشات العديدة الناشبة طوراً بين كل من هذه المدن وجاراتها ، وطوراً بينها مجتمعة وبين الاجانب من قرطاجيين ورومانيين . ولكن على الرغم من كل ما ينتج من التفرقات عن مثل هذه الحالة الحربية ، نرى ان اصطباغ صقلية بالصبغة اليونانية لم يتوقف في عصر ما ، حتى ان اعداء اليونان انفسهم كالقرطاجيين مثلا اصطبغوا هم ايضاً بها فتخلقوا باخلاق اليونان . وهذا ما جعل وحدة معروفة لتلك الجزيرة المختلفة الشعوب والنزعات المقاومة للحروب الداخليـة وغزوات القراصين من الاجانب ، وهي وحدة مبنية على وحدة الآداب اليونانية تظهر جلية لكل من يطالع تأليف شيشرون المعروف باسم « *de Signis* » ، وليس في الجزيرة مدينة لا تحتفظ الاحتفاظ الكلي بأثر او بآثار يونانية.

الاب كساناكيس

Marc le diacre : Vie de Porphyre, évêque de Gaza. *Texte établi, traduit et commenté par* H. Grégoire *et* A. Kugener. [*Collection byzantine*] *Société d'édition « Les Belles Lettres »*. CXII, 79, 156 *pp. Prix : 35 f*.

حياة برفيريوس اسقف غزة

تظهر ترجمة هذا النص الى الفرنسوية لاول مرة ، وهي مستندة ليس فقط الى المخطوطات المعروفة حتى اليوم ، بل ايضاً الى مخطوطة اورشليم المحفوظة في مكتبتها البطريركية . وقد قدم عليها المؤلفان بحثاً في ١١٠ صفحات ذكرا فيه علاقة حياة برفيريوس المذكور بتاريخ تيودوره الديني ، وبينا قيمتها التاريخية . فيكون ان لهـذا الاثر قيمة مهمة في معرفة حالة البلاط البزنطي على عهـد اركاديوس وافدوكسية ، وفي معرفة اضمحلال الوثنية من مدينة غزة .

G. Champenois : Le sabotage officiel de l'histoire de France. 1930, *Prix : 12 f*. *Paris, Editions Bossard*.

التدمير الرسمي في تاريخ فرنسة

يجمع المؤلف عدداً كبيراً من اجوبة ارباب المعارف والذوق والذكاء في

بـلاده من مؤرخين واساتذة وادباء وعلماء وفنيين وسياسيين ، اجابوا بها عن ثلاثة اسئلة وُجهت اليهم وهي: هل من الصواب القول بتحريف تاريخ فرنسة ؟ وما هي الاسباب التي أدّت الى هذا الخطأ ؟ وما هو الدواء لهذا الداء ؟

L. de Poncins : Les forces secrètes de la révolution. *Texte nouveau. Prix* : 20 *fs. Paris, Editions Bossard*, 1929.

قوى الثورة السرية

ظهر الكتاب لأول مرة سنة ١٩٢٨ فوصفناه في المشرق . وقد نفدت نسخه بسرعة فاعاد المؤلف كتابته ونفى منه ما شُكّ في صحته من المستندات. وهو يُقسم الى قسمين : الماسونية كما تظهر وتأثيرها في العالم ؛ والماسونية كما هي وعلاقتها باليهودية ، ونظامها ودورها الثوري.

Les Œuvres de la Comtesse de Ségur. *Collection à 2 fs. 50 le volume. Paris, A. Fayard et C^ie^.*

مؤلفات الكونتس دي سيغور

من المعلوم كل ما يستفيده صغار الفرنسويين ، في كل جيل ، من تآليف الكونتيس دي سيغور . ولهذا نشكر لمكتبة فيّار اهتمامها باعادة طبع هذه الآثار النفيسة على طريقة سهلة قريبة المنال ، ليس فقط لادباء فرنسة ، بل لجميع من يدرسون اللغة الفرنسوية من الصغار في جميع انحاء العالم . وقد ظهر منها حتى الآن سبعة مجلدات.

G. Grosjean : Jeanne d'Arc et le sentiment national. *Edition du cinquième centenaire, in-4°*, 1930. *Paris, Editions Bossard.*

جان دارك والعاطفة القومية

من الاخطاء العامّة ما يلقنه بعض الاساتذة في المدارس الفرنسوية من ان عاطفة الوطنية الفرنسوية نشأت سنة ١٧٩٠ ، وانه لم يكن قبل ذلك الحين الّا جمهرة من الشعوب مجتمعة حول عرش الملك . وهذا ما يعود الى القول انه لم يكن من وجود لفرنسة . لهذا شاء المؤلف ان يمحّص ما يمسّ هذا الخطأ دون ان يأخذ على نفسه كتابة تاريخ العاطفة القومية في فرنسة ، فاكتفى ، بمناسبة

مرور خمسمائة سنة على ظهور جان دارك ، بدرس هذه العاطفة وتأثيرها في ذاك العهد ، في المعارك الهائلة بين فرنسة وانكلترة . فاتى بكتاب لذيذ مفيد رشيق المظهر.

ج . ل .

مصنفات في علم الكيمياء للحكيم جابر بن حيّان الصوفي

قد اعتني بطبعها ونشرها ارك يحيي هولمبارد (الجزء الاول من المجلد الاول)

طبع في باريز المحروسة ، بمطبعة بول غايتنير ، سنة ١٩٢٨ ، ثمنه ٦٠ فرنكاً

ناشر الكتاب هو الاستاذ الاول في علوم الكيميا في مدرسة كليفتن في مدينة برستل . اخذ على عاتقه نشر مؤلفات جابر بن حيّان كلها ، حتى المطبوعة منها ، لانها لا تقوم بسائر ما يطلب منها لدرس مؤلفات اعظم عالم كيماوي مسلم درساً علمياً موفى الشروط . وسوف تظهر المصنفات بمجلدات عدة وكل مجلد ينقسم الى جزئين : الاول فيه المتن العربي بضبطه ومقابلته على ما يمكن الحصول عليه من مخطوطات جابر ، والثاني فيه الترجمة الانكليزية مع الحواشي.

اما هذا الجزء الاول من المجلد الاول ، ففيه مجموعة احد عشر كتاباً في علم الاكسير الاعظم ، طبع على الحجر سنة ١٨٩١ في بمباي . فتوفق الناشر الى الحصول على مخطوطين منه اتخذهما اساساً لعمله ، ووعد بتخصيص المجلد الاخير من المصنفات بحياة جابر ومقدرته من علم الكيمياء وخدماته . وسأل المساعدة على اكتشاف مؤلفات جابر المنسية . فرأينا ان ندله على النشرة ٢٥٦ ٢٥٧ من مجموعة وصف المخطوطات الشرقية[1] اتى فيها المرحوم الاب شيخو على ذكر كتاب مفتاح الرحمة وكنز النعمة للشيخ علي افندي ابن الرومي فقال: « ان ورود اسم جابر مراراً في الكتاب يدعونا الى الظن انه شرح على كتاب الرحمة لجابر . » وهذا الشرح محفوظ في خزانة مخطوطات المكتبة الشرقية ، لكنه في حالة يرثى لها.

ف . ت .

---

1) *Catalogue des Mss. de la Bibl. Orient. N° 256, 257*

سقطة الكنيسة القبطية بوجود بطريرك حكومي غير قانوني

بقلم جرجس فيلوثاوس عوض

المطبعة المصرية الاهلية ، القاهرة – ٢٧٢ صفحة صغيرة

غايـة المؤلف ان يبين ان انتخاب بطريرك الاقباط الارثوذكس الحالي ، البطريرك يونس ، انتخاب غير قانوني ، وان غبطته جرى منذ انتخابه ، على طريقة تخالف قوانين الكنيسة القبطية . وهو يبرهن ذلك بقوله ان نجيب سيداروس (وهو اسم البطريرك الاصلي) رسم كاهناً بسنّ العشرين ، وهو امر مخالف القانون ، على قول المؤلف ، لانه لا يجوز للمبتدئ ان يُرسم كاهناً الا في العمر الذي بدأ فيه السيد المسيح رسالته ، اي سنّ الثلاثين من سنيه . ثم لم تمرّ اثنتا عشرة سنة على ذلك حتى سيم الكاهن ، الذي كان قد صار رئيس دير ، اسقفاً على الاسكندرية ووكيلا بطريركياً . والمؤلف يسرد سلسلة من الشكاوي على الاسقف منها انه كان يسهل الطلاق حتى « فتح بابه على مصراعيه » خلافاً لتعاليم الانجيل (متى ١٩:٦) . ويصل الى ذكر الانتخاب فيبين عدم قانونيته بان المنتخب كان ذا كرسي (ولا يُنقل الاسقف من كرسيه الى غيره عند القبط) ، وبان الانتخاب جرى بأمر من الملك ، وبأن الاساقفة الحاضرين اعادوا وضع اليد على المنتخب . والنتيجة ان البطريرك الحالي بطريرك حكومي مدني ، او موظف بسيط عينه الملك ، ولا صفة رئاسة دينية له . واذاً فليس له حقّ باقامة المراسيم الدينية ، وعلى الاكليروس ان لا يعاونه على المذبح ، كما انه على الشعب ان لا يحضر الاحتفالات التي يرئسها .

يلي ذلك فصل مطول في وصف انتخاب البابا بيوس العاشر لا ندري هل اورده المؤلف للمقابلة بينه وبين انتخاب البطريرك يونس . ومهما يكن من أمر فان الناظر اليه باخلاص وتجرّد لا يشكّ لحظة واحدة في سموّ انتخاب البابا . ويذكر المؤلف في ملحق خاصّ طموح رهابين الاقباط الى الاسقفية ليؤمنوا لهم

ثروة شخصية من املاك الكنيسة ، فينحو عليهم باللائمة وينعي عليهم تقهقرهم وفتورهم الديني بعد ان كانت الحياة النسكية والرهبانية على اتمّ الازدهار في مصر في القرن الرابع. ثم يلوم المدارس القبطية التي تُعنى بالعلوم وتهمل الدين. ويشير الى الخسائر بالرجال التي تقاسيها الطائفة القبطية ، من ذلك ان ٤٠٠ قبطي ينتقلون الى الدين الاسلامي كل سنة وان ٥٠.٠٠٠ قبطي اعتنقوا البروتستانية ، وكان قد ذكر قبل ذلك ان التوراة البروتستانية البيروتية فيها كثير من الشوائب والتحريف. هذا ملخص ما في الكتاب. على ان المؤلف ، عندما ذكر ازدهار الحياة الرهبانية المصرية في القرن الرابع ، نسي ان يشير الى ان القديس بولا الناسك ، والقديس انطونيوس . وتلاميذهما وزملاءهما ، كانوا جميعهم من اتباع الكنيسة الكاثوليكية . وكذلك نسي ان يذكر الثلاثين الف كاثوليكي العائشين في بلاده ، والذين لا يمنعهم الاحتفاظ بطقسهم القبطي من اتباع رومة العظمى والتعلق بايمان بولا ، وانطونيوس ، واثناسيوس «الرسولي» كما تسميه ليتورجية القداس القبطي ، ومرقس ، تلميذ القديس بطرس الذي تدعوه الكنيسة القبطية ، يوم عيده ، « برأس الرُسل وخليفة يسوع المسيح . »

الاب شقراي

الخطابة

تأليف الدكتور نقولا فياض

ادارة الهلال بمصر ، ١٩٣٠ — ٢٤٨ صفحة متوسطة صغيرة

هي الهدية الاخيرة من هدايا « مجلة الهلال » لسنتها الثامنة والثلاثين جمع فيها الخطيب والشاعر المعروف الدكتور نقولا فياض بين اصول الخطابة النظرية ، من ادبية وفيسيولوجية ، وتطبيقها العملي . فتكلم في القسم الاول عن تعريف البلاغة ، وصفات الخطيب والعلاقة بينه وبين الممثّل ، وبينه وبين الشاعر ، والصلة بينه وبين الجمهور ؛ وعن انواع الخطب المختلفة . وتطرق ، في القسم الثاني ، الى ذكر بعض الوصايا الصحية التي ترمي كلها الى تحسين الصوت . وخصّ القسم الثالث بذكر امثلة مقتضبة من خطب العرب والافرنج . وقد وددنا لو

كانت هذه الامثلة اطول مما هي عليه ، اذن لتمكن المطالع من تطبيقها على اصول الخطابة ، ومن الاستدلال بواسطتها على شخصية اصحابها الخطابية والادبية. ومهما يكن من أمر فالكتاب سهل القراءة ، نافع. ف. ا. ب.

هندسة الطرق العملية

تأليف وليم داي وحامد القصبي

١٢٦ ص. متوسطة ، برسوم وخرائط — م. مصر ١٩٣٠

تصفحنا الكتاب فوجدناه ، رغم تعقد عبارته ، كثير الفائدة لما فيه من التعليمات ، واكثرها ناتج عن الاختبارات الشخصية ، خصوصاً فيما يتعلق بعملية الرصف بالقار او الاسفلت. وهو يقسم الى اجزاء اهمها الرصف بالزلط او « الماكادام » ، والرصف بالزلط المسقي بالقار ، والرصف بالاسفلت ، ثم الرصف بالبلاط ، ثم بالخرسانة. وقد بين المهندسان ما لكل عملية من المحاسن. وفي آخر الكتاب فصول عن الافاريز ، وتكاليف الاعمال ورصدها ، والآلات المستخدمة في اعمال الطرق. وفي اوله فصل عن المواد القارية اجمالاً واستعمالها في دهان الطرق. فيا حبذا لو قام احد مهندسي النافعة عندنا بمثل هذا العمل مبيناً التجارب التي أتي عليها في لبنان وسورية ، خصوصاً في اعمال الرصف بالمكادام المسقي بالقار ، لان العمليات تختلف من بلد الى بلد ومن قطر الى قطر ، لاختلاف العوامل الجوية وحركة السير الخ .. وعلى كل فنحن نهنئ صاحبي الكتاب طالبين له احسن رواج. ا. ب.

[illegible]

تأليف الخوراسقف اسحق ارملة

المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، ١٩٣٠ — ٥٥ ص صغيرة

هي طريقة جديدة في تعليم القراءة السريانية يتدرج فيها التلميذ من التهجئة البسيطة الى القراءة بالشكل الكامل ، وقد انتخبت مواد هذه القراءة من الصلوات والمزامير ، ومن بعض القصص. وزين الكراس بصور واضحة لأهم ما يقع تحت حس التلميذ من نبات وحيوان وجماد. فنشكر لحضرة المؤلف هذه الخدمة ، ونتمنى لتأليفه الرواج والانتشار.